

الذات والآخر في رواية (حب في كوبنهاجن) لمحمد جلال

د. محمد كمال سرحان

دكتوراه في الأدب الحديث - جمهورية مصر العربية

الملخص

8

هذه الدراسة تناول علاقة الأنا بالآخر بمرجعياتهما المختلفة والمتباينة: سياسياً، واجتماعياً، ودينيًا، حضاريًا. وقد كشفت القراءة الأولى أن الصراع الحضاري داخل النص ارتبط في نوعيته ودرجته بثنائيات ضدية متناقضة بين قطبين متباعين: الروحانية والمادية، الشرقية والغربية، الالتزام والانحلال؛ مما ترتب عليه صراعاً قوياً، يلمسه المتلقي بداية من قراءة العنوان الذي يشير إلى ثنائية جغرافية ضمنية، ألا وهي كوبنهاجن/الدنمارك في مواجهة مباشرة مع الشرق؛ وهذا ما يحيل بصورة مباشرة إلى وقوع صدام حتمي بين الجانبين.

ولقد استطاع الكاتب تصوير الذات الشرقية، والآخر الغربي بأشكالهما وصورهما المتعددة، بصورة مقنعة، مستعيناً في ذلك بالعديد من العناصر الفنية التي تساعد على تحديد الشخصية: خارجياً، وداخلياً، من خلال العناصر التالية: الجسدية، والنفسية، والاجتماعية.

وفي الرواية تشكلت المواجهة الحضارية بين الذات والآخر الغربي في مراحل مختلفة، وتشمل: مرحلة التطلع والانبهار، مرحلة التودد والتقرب، مرحلة المواجهة والصدام، مرحلة رفض الآخر والعودة للوطن. وصراع الذات لا تقتصر على مواجهة الآخر الغربي فقط؛ وإنما ظهرت في النص مواجهة ضارية بين الذات والآخر الشرقي، الذي هو جزء منها ومن مجتمعا الذي تنتمي إليه، ولكن بينهما اختلافات عديدة في الفكر والثقافة والوعي؛ مما جعلهما في صدام ومواجهة. وتمظهرت مراحل صراع الذات مع الآخر الشرقي في: مرحلة قلق وتوجس، مرحلة تمرد الذات على الآخر الشرقي، مرحلة خضوع واستسلام الآخر الشرقي للذات.

وقد كشف النص عن حضور قوي للذات والآخر في صورة فعالة، يجسدها الفضاءان المتقاطبان: الشرق وما يستدعيه من معاني: الذات، والبعد الروحي، والواقع المتدهور، والغرب الأوربي وما يستحضره من معاني: الآخر، والبعد المادي، والتطور؛ مما أثرى حركة الصراع السردي.

Abstract

Search self and the other in the novel (Love in Copenhagen) Mohamed Jalal, Dr. Mohamed Kamal Sarhan

This study dealt with the ego of the other relationship Bmarjaaat two different and divergent: politically, and socially, and religiously, culturally. The first reading has revealed that the cultural conflict within the text has been linked to the quality and degree of polychlorinated antibody contradictory between the two poles apart: the spiritual and the physical, eastern and western, commitment and decay; resulting in a power struggle, touches the receiver start to read the title, which refers to bilateral geographic implied, namely, Copenhagen / Denmark in direct confrontation with the East; and this is what refers directly to an inevitable clash between the two sides.

Author East have been able to self-portrayal, the western and the other multiple forms and manifestations, convincingly, drawing on many of the technical elements that help determine the personal: externally and internally, through the following elements: physical, psychological, and social.

In the novel it formed the cultural confrontation between the self and the other west at various stages, including: the stage of aspiration and fascination, and get close to the stage of courtship, the stage of confrontation and clash, the other stage and refused to return to the homeland. And the conflict of self is not limited to the face of the western one only; it appeared in the text face fierce between self-east and the other, which is part of them and society to which they belong, but their many differences in thought and culture and awareness; making them in Saddam's face. Tmzart stages and self-east with the other in the conflict: the stage of anxiety and apprehension, the stage of self-insurgency on the eastern one, the other stage submission and surrender to the east with.

The text has revealed a strong presence of the self and the other in an effective image, embodied Alvdaouan Almottagataban: Middle and summon him of meanings: the self, the spiritual dimension, and in fact deteriorating, the EU and the West and Asthourrh of meanings: the other, the physical dimension, and development; enriched by the movement of the narrative conflict

مقدمة: العلاقة بين الأنا والآخر من القضايا التي لها مكانها البارز في الرواية العربية المعاصرة التي استطاعت تمثيل قضية الصراع الحضاري بدقة وعناية؛ وهذا من منطلق أنّ الرواية لها سيادة، أهلتها لأن تتبوأ المكانة الرفيعة بين الفنون والآداب، كما أنها الجنس الأدبي الذي يمتلك قدرات وإمكانات التعبير عن العلاقات الإنسانية المعقدة سواء على صعيد الذات أم على صعيد فهم الآخر.

والواقع أنّ صراع الأنا/الذات العربية والآخر/الغربي استقطبت اهتمام الروائيين منذ وقت مبكر؛ حيث ظهرت في أدبنا العربي الحديث في أواسط القرن التاسع عشر بعد حركات الاحتلال الأوربي لبلاد الشرق، والذي هدف إلى التحكم فيها واستغلالها على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية، مع الحرص على إضعافها وإنهاكها عسكرياً وحضارياً ودينيّاً؛ ونشأ عن هذا فكرة الاستتباع والاستقطاب والهيمنة والمصلحية لدى الغرب، ومن ثمّ طُرحت على الساحة الأدبية العربية فكرة الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، والتي كشفت التباين الجلي بين تحضر الغرب وتأخر العرب، وظهرت العديد من الروايات التي ترصد وتصور وتعالج ذلك الصراع، مثل: "أديب" ١٩٣٥ لطفه حسين، و"عصفور من الشرق" ١٩٣٨ لتوفيق الحكيم، و"قنديل أم هاشم" ١٩٤٤ ليحيى حقي، و"الحي اللاتيني" ١٩٥٤ لسهيل إدريس، و"موسم الهجرة إلى الشمال" ١٩٦٦ للطبيب صالح، و"فيينا ٦٠" ١٩٦٢، و"رجال وثيران" ١٩٦٤، و"نيويورك ٨٠" ١٩٨٠ ليوسف إدريس... وغيرهم من الروائيين الذين استطاعوا توثيق جدلية الأنا والآخر في قوالب فنية وجمالية، عبرت عن خبايا المواجهة الحضارية بفضية عالية.

وترجع فكرة الصراع والمواجهة الحضارية إلى قيام الشرق في رحلة التدارك الحضاري "بإرسال أبنائه في بعوث علمية إلى أوروبا للحصول على معارفها وعلومها ثمّ العودة من جديد إلى شرقهم المتخلف للنهوض به، وبعث دم جديد فيه، لكن هؤلاء الشبان الذين ذهبوا يطلبون العلم في أوروبا، وجدوا أنفسهم فجأة في بيئات تختلف عن بيئتهم، وحضارة غير حضارتهم، وجابتهم ثقافات مختلفة ومفاهيم فكرية وعادات اجتماعية وقيم لا عهد لهم بها"^١. وهذا دفعهم - واعين وغير واعين- إلى عقد مقارنات وموازنات بين صورة الذات الشرقية، وما تتسم به من صفات نفسية واجتماعية وثقافية وبدنية، وبين صورة الآخر التي هي: "مجموعة الخصائص والسمات والمعتقدات والسلوكيات والأفكار التي ننسبها للآخرين سواء كانوا من الأفراد أو الجماعات أو

١ - شريف بموسى عبد القادر: أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية، مقارنة نفسية - أطروحة دكتوراه - جامعة تلمسان - الجزائر - ٢٠٠٤ - ص(١).

الشعوب"١. وبدأت رؤية الذات للآخر انبهارية سلبية في أول الأمر مع بداية الاحتكاك بالغرب في القرن التاسع عشر وذلك من خلال المفكرين الذين سجلوا - في صورة انطباعية - إعجابهم بالآخر وحضارته من ناحية العمران والنظام السياسي والسلوك الحضاري، راحوا يلتمسون الأساليب للاقتباس والاحتذاء في الجوانب العلمية والتقنية، وحاولوا انتقاء الإنجازات الحضارية التي تعود على بلادهم بالنعف والفائدة، ثم تحولت الرؤية إلى الشكل الانبساطي الإيجابي في بدايات القرن العشرين مع الكتاب الذين توجهوا للغرب طلباً للعلم؛ حيث تعدوا النظرة الأولى السطحية في الانبهار بحضارة الآخر وحرية إلى رؤية متعمقة لمعرفة سر التقدم الغربي ورفقه الحضاري، وفي الوقت نفسه متمسكين بقيم الشرق الروحانية وعاداته وتقاليده.

إن الذات الشرقية سافرت للغرب ومعها حضارة بلادها بقيمتها ومبادئها التي تختلف اختلافاً بيناً عن حضارة الغرب؛ من أجل "فهم واستيعاب عقلي ووجداني عميق للغرب وعالمهم الذي صار قريباً، ولكن دون التملص من الانتماء إلى الشرق بإيجابياته وسلبياته، بل عبر فهم ضمنى للصراع الحضاري بين الشرق والغرب في مرحلة تشهد بلا شك تفوقاً حضارياً للأخير؛ الأمر الذي ربما كان وراء تباين مواقف أبطال هذه الروايات، بل أحيانا تباين موقف البطل الواحد وتذبذبه من الغرب والإنسان الغربي"٢؛ ومن ثم ينشأ نوع من الصراع بين الحضارتين: حضارة الآخر بتقدمها وتطورها العلمي والثقافي والاقتصادي وكل ما تملكه من مال وقوة مادية، وحضارة الذات التي تتضاءل وتضعف أمام الآخر في كل هذه المجالات. ولاشك أن هذا الصراع: "يستمد قوته من مساحة التباعد بين القوتين المتصارعتين على المستوى الحسي أو المجرى... بين قطبين متباعدين في كل مجالات الفكر والنشأة والموقع، حيث الحضارة العربية الإسلامية (الذات العربية)، والحضارة الأوروبية المعاصرة (الآخر المهامان)..."٣.

والواقع أن (الذات) تحاول إحداث نوع من التوافق مع (الآخر) عن طريق: "عمليات إحلال وتبديل وإزاحة مستمرة، تنتهي إلى التغيير، في محاولة لاستيعاب الآخر الحضاري على حساب الذات الحضارية. إنها محاولة للتخلص من الاغتراب التي تجد الذات -الفردية - نفسها في خضمه؛ إذ تواجه الآخر الحضاري، فتوقع

١ - شاكر عبد الحميد: الحلم والرمز والأسطورة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨ - ص ٣٢٣.

٢ - نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر، دراسات أدبية مقارنة - عالم الكتب الحديث - الأردن - الطبعة الأولى -

٢٠٠٧ - ص ٧٢.

٣ - محمد نجيب التلاوي: الذات والمهمان، دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - سلسلة دراسات

أدبية - ١٩٩٨ - ص ٤٢.

نفسها في عدد من الإشكالات النفسية الحضارية، تجعل الذات -الفردية أيضاً - في حالة قلق مستمر^١. وهذا يجعل الذات في مأزق شديد نابع من شعورها بأنها موزعة بين عالمين: "المادة والروح، أو العلم والإيمان، أو العقل والقلب، وقد يمثلها بامرأة أوروبية وأخرى عربية. ولكن كل هذه المتقابلات ترمز في النهاية إلى الحضارة الغربية بوسائلها المادية، والحضارة العربية بقيمتها الروحية"^٢.

وفي هذا المجال يلزم وضع إطار محدد لمفهوم الـ"أنا" في مفهومها الفردي والجمعي الـ"نحن"، مقابل الـ"هو/الآخر كذلك في مفهومه الفردي والجمعي. أما المقصود بالذات/الأنا فهي "الحضارة العربية بعمقها الإسلامي الغائر في التاريخ وبسطحيتها في الواقع المعاصر، وقد اختصر الروائيون معطيات الحضارة العربية الإسلامية في (بطل) أو (جماعة). أما (البطل الفرد) إذا انتقلت الذات إلى فضاء الآخر، وأما (الجماعة) إذا انتقل (الآخر) إلينا، وفي الحالتين استحوذت (الذات) على مقاليد الأمور الروائية، بل وحركت الصراع وانتقلت الآخر (عمداً أو صدفة)"^٣؛ وذلك لأن: "نقد الآخر شرط لوعي الذات بنفسها، ولكن وعي الذات هو نفسه شرط لاكتساب القدرة على التعامل النقدي الواعي مع الآخر"^٤؛ حيث إن ذات الآخر تعمل "مرآة نرى فيها ذاتنا التي تعمل بدورها كمرآة تساعد الآخر على رؤية ذاته؛ مما ينتج تبادلاً للنظرات وتقاطعها، فيغدو بذلك الناظر منظوراً إليه، والمنظور إليه ناظراً في آن معاً"^٥.

فالأنا هي الذات -التي هي نقيض للآخر - بما تمثله "الأنا" على المستوى: الشخصي، القومي، والفكري، والثقافي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي. والواقع أن الذات "ليست شيئاً موروثاً لدى الإنسان، وإنما يتشكل خلال التفاعل مع البيئية التي يعيش فيها ابتداء من الطفولة وعبر مراحل النمو المختلفة. كما أن الوعي بالذات يبدأ ضيقاً عند بداية حياته، وينمو ويتطور باتساع البيئية التي يتعامل بها، ومن خلال الخبرات الجزئية والمواقف التي يمر بها الفرد في أثناء محاولته للتكيف مع البيئية المحيطة به"^٦؛ حيث يوجد "تأثير

١ - عصام بهي: الرحلة إلى الغرب في الرواية العربية الحديثة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٠ - ص ١٣.

٢ - شكري عياد: الرؤيا المقيدة، دراسات في التفسير الحضاري للأدب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٨ - ص ١٦.

٣ - محمد نجيب التلاوي: الذات والمهمان، دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية - مرجع سابق - ص ٦١.

٤ - محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر - دار الطليعة - لبنان - ط ٢ - ١٩٨٥ - ص ١٩٠.

٥ - سلاف بوحلايس: صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري - رسالة ماجستير - جامعة باتنة - الجزائر - ٢٠٠٨ - ص ١.

٦ - قحطان أحمد الظاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق - دار وائل للنشر والتوزيع - الأردن - ط ١ - ٢٠٠٤ - ص ٤٧.

متبادل بين تلك الأقطاب: (الذات والذات، الذات والذوات الأخر، الذات والعالم)، والتفاعل بين أي زوج منها يهن ويشتد وإن بقي ما بقيت أطرافه^١.

أما الآخر فهو هو الضد، المختلف والنقيض لأننا بما يحمله من صفات وخصائص وقيم متنوعة ومتباينة: "إنه الآخر الذي يقابل الذات، يبسط أمامها قيمه الوجودية وأنماطه المرتبطة به ككينونة عاكسة لوجود الذات وإدراكها ذاته"^٢. "ولاشك أن مفهوم الآخر يتأسس على مفهوم الجوهر، أي أن ثمة سمة أساسية جوهرية تحدد الذات؛ مما يجعل الآخر مختلفاً عنها، وبالتالي لا ينتمي إلى نظامها أيا كان"^٣؛ مما ترتب عليه أن العلاقة معه تنبني على أساس تصادمي، هدفه فرض الهيمنة والسطوة.

وهنا يلزم التأكيد على أن الآخر لا يقتصر على الغرب/الإمبريالي/المحتل/نقيض الأنا وحده، فالفرد "يمكن أن يكون آخر حتى بالنسبة إلى نفسه قبل مدة قصيرة، ويمكن أن يتحول إلى آخر بعد مدة قصيرة أيضاً، وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض"^٤. أي أن الآخر يمكن أن يكون جزءاً من الذات، يظهر أو يختفي في الأنا الفردي أو ال"نحن" الجمعي، أي أنه جزء من المجتمع الذي تنتمي إليه الذات داخل مجتمعها الذي تعيش فيه/المجتمع العربي/الشرقي، وبينهما العديد من الاختلافات الأيديولوجية والفكرية والثقافية؛ مما جعل الفريقين في مواجهة وصدام مع بعضهما. ومن ثم يمكن القول بأن "الآخر بكل ألوانه وأطيافه ذو خصوصيات وسمات، تبرز ماهيته ومعدنه، ولا يمكن إدراك هذا الآخر إلا بإدراك الذات التي تساهم بشكل أو بآخر في التعرف على ذاتها انطلاقاً من هذا الآخر، واعتماداً على الفروقات والاختلافات والتناقضات التي تؤصل وتحكم العلاقات المتباينة والصراعات الظاهرة والباطنة، المكشوفة والمخفية بين الذات والآخر؛ مما أضفى على الآخر صبغة التفرد والاختلاف منذ الأزل إلى عصرنا المعاصر، ويبقى الآخر حاملاً لمعاني الضوقية والتقدم والتطور في انتظار لحاق الذات التي لا تزال رابضة في مكانها، تنتظر وتندد وتتمنى رفع رأسها الذي أتعبته الطأطأة"^٥.

١ - نجيب الحصادي: جدلية الأنا والآخر - الدار الدولية للنشر والتوزيع - القاهرة - ط١ - ١٩٩٦ - ص٧.

٢ - عبدالله أوغرب: الذات والآخر الغربي في روايتي: الغربية واليتيم لعبد الله العروي - رسالة ماجستير - الجزائر - كلية الآداب واللغات - جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - ٢٠١١ - ص٧٧.

٣ - ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي - المركز الثقافي الغربي - بيروت - لبنان - ط٥ - ٢٠٠٥ - ص٢.

٤ - صلاح صالح: سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء المغرب - الطبعة الأولى

٢٠٠٣ - ص١٠.

٥ - عبدالله أوغرب: الذات والآخر الغربي في روايتي "الغربية" و"اليتيم" - مرجع سابق - ص٩٤.

- ومما شجع على اختيار دراسة: الذات والآخر في رواية (حب في كوبنهاجن) لمحمد جلال؛ الأسباب التالية:
- رواية (حب في كوبنهاجن) من الروايات المتميزة في مجال الصراع الحضاري؛ حيث تعكس تجدد الرؤية لدي مؤلفها في ظل متغيرات الواقع الحافل بمصادمات المواجهة مع الآخر، ولاسيما بعد مرور فترة -غير قصيرة - على نشأة وتطور روايات المواجهة في مصر والعالم العربي؛ حيث إنه - في الزمن الحاضر - بفعل تطور وسائل الاتصال وتنوعها، وكذلك بفعل توسع مجالات المناقضة وبروز عناصر اللقاء والاختلاف، زاد الصراع أهمية وقوة؛ مما جعل المجال ثرياً للدراسة والتعمق.
 - الرواية -محل الدراسة - تعمق جدلية العلاقات بين الكيانات الحضارية الثقافية المتباينة، وتكشف التناقض بين تلك الكيانات، من خلال الاستغراق في السرد الاستعاري والرمزي والصورة الخيالية والرمزية.
 - تهدف الدراسة إلى إيانة صورة الآخر/الغربي، وكذلك صورة الآخر الشرقي كما ترسم في مرآة الذات؛ وذلك لأن دراسة الصورتين ضرورة فنية لاكتمال توضيح الرؤية في حركة الصراع والمواجهة.
 - المبنى الحكائي الناظم للرواية قائم على جدلية العلاقة بين الأنا والآخر، فالبناء السردى يسهم في إزالة الغموض عن جوانب التجربة الإنسانية للذات، في حال غريبتها واغترابها.
 - تجسد رواية (حب في كوبنهاجن) ثنائية الأنا والآخر، وذلك عبر مجموعة من الرؤى والأنماط والصور المتقابلة، بطرح إشكالية الهوية والتقابل بين الأنا والآخر بطريقة فنية، كما تترجم لنا ثنائيات: الشرق والغرب، الذكورة والأنوثة، التقدم والتخلف، المادة والروح، الاختلاف والتوافق، التفتح والانغلاق.
 - معرفة كيف شخصت الرواية صورة الذات والآخر؟ وما أهم أنواع التمثلات والرؤى الفلسفية والإبداعية التي جسدت هذه الصورة؟ وما خصائص هذه الرواية دلاليًا وجماليًا ووظيفيًا؟ وانطلاقاً من هذا كله كانت الحاجة لمثل هذه الدراسة لتكمل مسيرة دراسات سابقة -لها مكانتها وفائدتها - وتسد فراغاً، وجدنا ضرورة بحثه، وإلقاء الضوء عليه. والواقع أنّ بحث الذات والآخر يندرج ضمن الأدب المقارن أو أدب الصورة؛ حيث ترصد الدراسة المواجهة بين الأنا والآخر في (رواية حب في كوبنهاجن)، وذلك عبر مجموعة المحاور التالية :
- أولاً - صورة الذات، وتتمظهر في: الصورة الجسدية، الصورة النفسية، الصورة الاجتماعية.
- ثانياً - صورة الآخر، وتشمل: الصورة الجسدية، الصورة النفسية، الصورة الاجتماعية.

ثالثاً - الصراع الروائي داخل النص السردى، مفهومه، أهميته، نوعه.

رابعاً - مراحل الصراع والمواجهة بين الذات والآخر، وتضم مرحلتين، وهما:

(١) مراحل صراع الذات مع الآخر الغربي، وتتضمن: مرحلة التطلع والانبهار، مرحلة التودد

والتقرب، مرحلة المواجهة والصدام، مرحلة رفض الآخر والعودة.

(٢) مراحل صراع الذات مع الآخر الشرقي، وتشمل: مرحلة قلق وتوجس، مرحلة تمرد الذات

على الآخر الشرقي، مرحلة خضوع واستسلام الآخر الشرقي للذات.

خامساً - الفضاء الروائي، ويضم: فضاء الذات، وفضاء الآخر.

وفيما يلي توضيح لتلك المحاور: لقد حرص الكاتب في روايته على جعل الذات مركزاً للنص، ومحوراً

للانطلاق السردى، محملة بالأبعاد المميزة لها: جسدياً، ونفسياً، واجتماعياً، وثقافياً، وجغرافياً، وتاريخياً. ومن

قراءة العنوان يلمح القارئ ثنائية جغرافية ضمنية، ألا وهي كوبنهاجن/الدنمارك في مواجهة مباشرة مع

الشرق؛ وهذا ما يحيل بصورة مباشرة إلى وقوع صدام حتمي بين الذات والآخر؛ فالذات الشرقية:

كريمة/شريف يتوجهان إلى فضاء الآخر/كوبنهاجن؛ مما ترتب عليه مواجهات وصراعات ظاهرة وخفية،

تشتد وتتلون وتختلف تبعاً لمسافات الاحتكاك والتفاعل بين الجانبين؛ ومن ثمّ تتحدد هوية الصراع. الذات

تواجه الآخر، تجسده بكافة صفاته وملامحه الخارجية والداخلية؛ وتقدم لنا صورة الآخر سواء أكان غريباً أم

شريعياً، برؤية المثقف الشرقي الواعي. والرواية جسدت صورة أبطائها: (الذات، والآخر) في النماذج التالية، والتي

تمثّل صوراً متنوعة الرؤية والتوجهات والأيديولوجيات :

الصورة	الرجولة	الأنوثة	الديانة
الذات(الشرق)	شريف، شاب مصري، وجوه سمراء، صوت عربي.	كريمة.	الإسلام.
الآخر(الغرب)	صاحب نادي الجنس - صوت رجل، عازف، الشاذ، رجل عجوز، رجل سكير، فتى. شباب نادي الجنس، فتى لاد، زوج، طفل، عازف جيتار، صياد.	مضيضة الطيران، صبية، بائعة الورد، امرأة تقراء، صوت أنثوي، امرأة يابانية. مغنية، فتاة شقراء، صاحبة البيت، فتاة الليل، فتيات نادي الجنس، فتاة لاهية، فتاة عارية.	المسيحية.
الآخرالشرقي	والد كريمة، أخو كريمة، والد شريف، الشيخ جاد الله، بائع الأكفان، ابن العمدة، شاب، الخفير، طفل، عجوز.	زبيدة، بدرية، أم شريف، امرأة، فتاة .	الإسلام

أولاً - صورة الذات: في هذا العمل الإبداعي-محل الدراسة - تظهر جدلية العلاقة بين الأنا والآخر بوضوح؛ حيث إن هذه العلاقة هي الخيط الناسج لهذا النص، الذي يعالج مأساة متأصلة بعمق الهوية العربية، وعلاقتها بالآخر في صراع إثبات الوجود، تلك الهوية التي هي "الصورة المثالية التي تكونها جماعة بشرية ما عن نفسها وعن تاريخها، بالنسبة لجماعات أخرى، وهذه الصورة تتضمن بالضرورة فكرة المقارنة بالآخر، وإثبات الاختلاف والتميز عنه. إنها السبيل إلى تعريف الذات من خلال التأكد على ما يميزها ويجعلها مختلفة عن ذوات أخرى"^١. ولقد استثمر الكاتب فن الرواية، بسلاسته، ورحابته، بشخصه، وأمكنته، وأزمته، بوصفه، وتحليله؛ لتسليط الضوء على وضعية الذات الشرقية العربية: صورتها، مكانتها، تأثيرها، ومدى قابليتها للتأثر، وكشف الصراع الظاهر والخفي بينها وبين الآخر. كل هذا في صورة فنية متميزة وهادفة. ولتوضيح ملامح الذات وصورتها في مواجهتها للصراع الفكري والحضاري الدائر بين الذات فيما بينها من جهة، والذات والآخر من جهة أخرى؛ فإنه يلزم توضيح الجوانب المختلفة للذات: الجسدية، والنفسية، والاجتماعية، والتي تساعد على إبراز الصراع، من حيث إنه "الشحنة التي تنقذ الوجدان المتعب من الاستسلام أمام الأمر الواقع"^٢. ويطلنا الرواية: شريف، وكريمة هما رمزا "الأنا العربية" المثقلة بالهم والغربة والحزن حتى في مجتمعها، إذ لم تلبث هذه الأنا تبحث لها عن وجودٍ بصراعها مع الآخر، سواء أكان هذا الآخر مع ذاتها المثقلة بهم الوحدة

١ - عبد الرزاق الدواي: في خطاب عن المناقضة والهوية الثقافية - مجلة آيس - الجزائر - العدد الثاني - ٢٠٠٧ - ص ١٥.

٢ - غالي شكري: أدب المقاومة - دار المعارف - القاهرة - د ط - ١٩٧٠ - ص ٦.

والغريبة، أم واقعها المزري وفقرها، أو الآخر الشرقي المخالف لها في الهموم والتطلعات، أو الآخر الغربي المناقض لها، واللامنتمي بشكل من الأشكال للأنثى، أو عدو الأنا.

وقارئ الرواية يلاحظ أنّ الذات عالقّة في صراع محتدم بين أيديولوجيتين: الانتماء للماضي، أو الخضوع للآخر، وكلا الخيارين انحراف عن المسار؛ فالانصياع للماضي سير عكس المسار الطبيعي للتطور الزمني، والخضوع للآخر تفتيت لوجود الذات وإلغاء لهويتها: "فالانتماء إلى ذلك الماضي، هو انتماء إلى تلك الدائرة الحضارية المغلقة التي أصبحت غير مؤهلة لإخراج المتشبهت بها من دائرة التخلف، فهي أشبه ما تكون بجذيرة نائية لا سبيل إليها أبداً، فهي مجرد تاريخ لم يبق منه إلا تلك الأخبار والأحداث، التي أصبحت آثاراً، وأطلائاً ولّت واندثرت، ولم يبق منها إلا تلك العلامات التي لا تزال تمارس طقوسها"^١. ولقد استطاع الكاتب تصوير الذات الشرقية بأشكالها وصورها المتعددة، بصورة مقنعة ومؤثرة، مستعيناً في ذلك بالعديد من العناصر الفنية التي تساعد على تحديد الشخصية: خارجياً، وداخلياً، وتشكيلها في صورة حية، من خلال العناصر التالية: الجسدية، والنفسية، والاجتماعية.

أ. الصورة الجسدية: يسعى الكاتب عند بناء شخصياته الروائية إلى تقديمها في صورة حية صادقة باستخدام العديد من الوسائل الفنية، وفي مقدمتها الحرص على اختيار أسماء لشخصياته؛ وذلك لما للاسم من "دور كبير في خلق الشخصية وإعطائها وجوداً واضحاً"^٢: "لأن التسمية أبسط أشكال التشخيص، وكل تسمية نوع من أنواع البعث والإحياء وخلق الفرد"^٣، ولقد قال (أندريه موروا): "إن الحياة تبدأ بالأسماء، وسيشعر الإنسان بالتأكد بأنه عريان، ومجهول إذا سحب اسمه منه"^٤. كما أن إطلاق الأسماء على البشر والأشياء والأماكن، هي أولى رموز السيطرة على هؤلاء جميعاً"^٥. وفي رواية (حب في كوبنهاجن) تتجسد الذات الشرقية في النص من خلال الإعلان عن حضورها السردي في صورة أسماء، اختيرت عن قصد فني، بأن تشير لدلالات محددة مقصودة، تستقر في ذهن المتلقي، حيث تحيل أسماء

١ - إبراهيم عباس: الرواية المغاربية، تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي - دار الرائد للكتاب - الجزائر - ط١ - ٢٠٠٥ - ص١٢٦.

٢- ووشيو تشينغ: إبراهيم عبدالمجيد روائياً- المجلس الأعلى للثقافة - ٢٠٠٢ - ص١٤٨.

٣ - رينيه ويليك، أوستن وارين: نظرية الأدب - ترجمة محي الدين صبحي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨١ - ص٢٢٩.

٤ - هالي بيرنت: كتابة القصة القصيرة - ترجمة أحمد عمر شاهين - كتاب الهلال - عدد٥٤٧ - يوليو ١٩٩٦ - ص٤٦.

٥ - حسن نور الدين: الأسماء العربية، معانيها ومدلولاتها - دار الكاتب الحديث - ٢٠٠٤ - ص١٦.

الشخصيات إلى الماضي الشرقي المشكّل لوعي ووجود الذات؛ باختيار أسماء تؤكد الهوية العربية الشرقية الإسلامية في الصراع الحضاري مع الآخر. مثال ذلك بطلا الرواية: شريف، وكريمة، من الأسماء العربية، التي لها معانٍ ثرية متعددة، تستمدّها من البيئة العربية الأصيلة؛ فـ"شريف": صاحب الشرف والمكانة العليا والسمعة الطيبة في قومه، يجمع بين الحسب والنسب، ويطلق على كل من يرجع نسبه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- . و"كريمة": اسم جامع لأنواع الخير والشرف والفضيلة، ولكلّ ما يُحمد، ويدل على السخاء والجود والعتاء. والشخصيات الثانوية حرص الكاتب على أن تكون عربية إسلامية، مثال ذلك "زبيدة": اسم مصغر، أصله زبدة، وهو ما يستخرج بالخض من اللبن، والزبدة: خيار الشيء وأفضله، و"زبيدة" زوجة هارون الرشيد. ووالد البطلة "الشيخ رضوان"، هو اسم خازن الجنّة. ومن بلدة البطل الشيخ "جاد الله". وقرية البطل "بدرية". كل هذا يؤكد أن أسماء الشخصيات خضعت لعناية خاصة من المؤلف؛ بحيث تحمل عبق التاريخ، وتكون رمزاً تاريخياً وعلائقياً، يعود لحقبات سابقة، تستدعي التاريخ العربي والإسلامي التليد؛ حيث لكل عقيدة وبيئة معجم خاص بالأسماء، يمثل بطاقة هوية وجود لحاملها.

ولقد حرص الكاتب على خلق شخصيات روائية حية وقرية من الواقع، ووسيلته في ذلك تحديد البعد الجسدي، أو كما يطلق عليه الجانب الخارجي أو البراني^١، الذي "هو الكيان الفسيولوجي، أو الكيان المادي المتصل بتركيب جسم هذا الشخص أو أي شخص"^٢. فالبعد الجسدي له دوره الفعال في بناء الشخصية؛ "فهو الذي يحدد هوية الإنسان، ويعطيه صورته، ويحدد ماهيته، وبدون الجسد لا يمكن الحديث عن الإنسان؛ لأنه حينذاك لن يكون موجوداً، والجسد هو المكان الذي يربطنا بالمكان الأكبر وهو الكون... ووجود الإنسان هو في الأساس وجود جسدي"^٣؛ ومن ثمّ اهتم الكاتب في رواية (حب في كوبنهاجن) بمنح الذات الشرقية صفات عربية أصيلة لصيقة بها، ومرتبطة بذكرها ووجودها؛ ذلك أن الشخصية العربية المتأصلة في الكاتب تفرض عليه تمثّلها جسدياً، انطلاقاً من رسم الوجوه والأشكال والملاحم والسمات العربية. بطل الرواية "شريف" ترتسم شخصيته بملاحم شرقية واضحة: حيث يأخذ اللون الشرقي حيزاً في التشكيل الجسدي للذات: "وجهه

١ - حسين القباني: نظرات في القصة القصيرة - دار المعارف - سلسلة كتابك - عدد ١٢٥ - د.ت - ص ٤٨.

٢ - لاجوس إجري: فن كتابة المسرحية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٠ - ص ١٠٧.

٣ - رمضان بسطاويسي: الإبداع... والحرية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - فبراير - ٢٠٠٢ - ص ٢٢٢، ٢٢١.

أسمر، حرقتة شمس الصعيد"١. والشارب له تواجد في الذات الشرقية؛ حيث يمثل اعتزازاً بالرجولة وإذكاءً للذكورية: "...تحسس شنبه...٢. والعيون تحتل حيزاً في رسم الجسد الشرقي باعتبارها انتماء لجنس عرقي، له خصائصه الفيسيولوجية التي تميزه عن الآخر، "كريمة... يبدو أن في عينيك السمرالوين العشق...٣. والشعر يتصف بلونه الأسود المحدد للشخصية الشرقية، (كريمة) تتميز"...بجمال شعرها الأسود. قال لها ذات صباح: شعرك كان الطريق إلى قلبي... فأحببتك"٤، كما يتسم شعرها بالطول "هزت كريمة كتفها، هههه شعرها...٥، "عادت النسمة عفية، تطاير شعرها...٦، "تركت شعرها على كتفها"٧، "شعرها الذي يؤكد أنوثتها"٨. وقد أحب العرب المرأة التي تمتاز بطول شعرها الأسود الفاحم أو الحالك كالليل المظلم؛ فطول شعر المرأة وشدة اسوداده أو ميله للسواد من عناصر الجمال في المرأة الشرقية، فالعربي يستحسن طول الشعر وسواد لونه. يقول امرؤ القيس: "غَدَايَرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٍ إِلَى الْعُلَى تَصِلُ الْعِقَاصُ فِي مَثْنَى وَمُرْسَلٍ". كذلك من سمات الأنثى الشرقية أن تكون مكتنزة الجسم في مواصفات جميلة مشوبة بالسمنة غير الثقيلة، كبطلة الرواية (كريمة): "صدرها يرتفع...خصرها البدين...٩، "كريمة واقفة في مكانها... تدبب بقدميها، يترجح ثدياها...١٠، "نسيت صدرها المتكور أمامها. لامسه أحد الرجال...١١. و(زبيدة): "...تخطر بجلبابها الأحمر...١٢، "تبين أن زبيدة امتلأت باللحم...صدرها امتلأ فجأة"١٣.

والكاتب في رسمه للذات الشرقية يشير إلى عمرها الزمني بأسلوب مباشر وغير مباشر؛ لأثره البارز في إقناع القارئ بالأفعال التي تقوم بها الشخصية، والدور الذي كلفت به في القصة، وبهذا تكون أفعالها وأقوالها

١ - محمد جلال: حب في كوبنهاجن - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الأعمال الكاملة - الجزء الرابع - ٢٠٠٣ - ص ١٧٩.

٢ - المصدر السابق: ص ١٩٣.

٣ - المصدر السابق: ص ١٩٨.

٤ - المصدر السابق: ص ٢٣١.

٥ - المصدر السابق: ص ١٤١.

٦ - المصدر السابق: ص ١٥٨.

٧ - المصدر السابق: ص ٢٣٨.

٨ - المصدر السابق: ص ٢٣٨.

٩ - المصدر السابق: ص ١٦٥.

١٠ - المصدر السابق: ص ٢٢٦.

١١ - المصدر السابق: ص ٢٣٨.

١٢ - المصدر السابق: ص ١٥٣.

١٣ - المصدر السابق: ص ١٥٤، ١٥٥.

وتفكيرها وسلوكها مناسب لسنها وعمرها الزمني^١. والكاتب يلصق الشخصية الشرقية - داخل النص السردي - بمرحلة الشباب، وفي هذا دلالات وإيحاءات رمزية، تفضي إلى تميّز المجتمع العربي بالشباب والقوة، وتلك إشارة قوية لقدرة الشرق على: التغيير، والعطاء الحضاري، والتطور، ومواكبة العصر. مثال ذلك كثير منه: كريمة وشريف مازالا في مرحلة الدراسة الجامعية^٢.

وأخو كريمة صبي شقي^٣. والبطلة عندما خرجت لتقابل خطيبها؛ اقترب منها شاب^٤. وابن العمدة طالب: "سيسافر إلى بلاد الإنجليز في العام القادم ليكمل دراسته"^٥. وقابل شريف - في العاصمة الدنماركية - شاباً مصرياً^٦. وفي القطار رأى شريف فتاة تخفي وجهها^٧. ولا شك أن دلالة الكلمات: طالب، فتاة، فتى، صبي، صبي، طالب، شاب،... تعبر عن مجتمع مفعم بالقوة والحيوية، يأخذ صورة واقعية من حقيقة الشرق. كما أن المراحل العمرية هذه تعدّ ملمحاً جسدياً معبراً عن الذات.

ومما سبق تبدو عناية الكاتب الفائقة برسم الملامح الخارجية لشخصياته، التي تعدّ تميّزاً فيسيولوجياً للذات واختلافاً عن الآخر، ورغم تنوع الشخصيات التي تعكس الذات الجمعية وتعددتها داخل النص؛ إلا أنها تشترك في أن سماتها بتنوعاتها واختلافاتها الفرعية تحيل إلى أصل واحد، وهو الانتماء للشرق عامة: حضارة، وجنساً؛ فهي سمات شرقية أصيلة دالة على الذات.

ب - الصورة النفسية: الروائي الجاد يضيف على شخصيات عالمه الروائي ظلالاً من الحياة، وألواناً من الواقعية والمصادقية بالألا يكتفي في رسمه للشخصية برصد مظهرها الخارجي المادي، بل يتعدى ذلك إلى التعبير عن دخيلة الشخصية، والولوج إلى عالمها الداخلي^٨؛ ولذا "على الكاتب الذي يعنيه أن يقدم لنا شخصية حية صادقة، أن يتعمق دراسة الطبيعة الإنسانية عامة، وأن يفضن إلى دوافع الإنسان وانفعالاته

١ - محمد كمال سرحان: بناء القصة القصيرة عند يوسف السباعي - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة المنصورة - ٢٠٠٥ - ص ٧٢.

٢ - محمد جلال: حب في كوبنهاجن - ص ١٤٤.

٣ - المصدر السابق: ص ١٥٨.

٤ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٥ - المصدر السابق: ص ١٤٥.

٦ - المصدر السابق: ص ٢٠٨، ٢٠٧.

٧ - المصدر السابق: ص ١٤٤، ١٤٣.

٨ - محمد كمال سرحان: الشخصية في الرواية الواقعية، دراسة في أعمال عبد الرحمن الشرفاوي ويوسف إدريس - رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة المنصورة - ٢٠٠٩ - ص ١١١.

وعواطفه"١. ومحمد جلال استطاع رسم صورة فنية دقيقة لأعماق شخصياته، بتجسيد صفاتها النفسية، وإظهار دوافعها وانفعالاتها، وهذا لإيمانه أنه" يكفي داخل الرواية أن تتسجم الشخصية وطبيعتها النفسية والمزاجية وعلاقتها الاجتماعية"٢؛ بهدف "كشف أبعادها، وسبر أغوارها، وعكس ماضيها، وبيان عمق وعيها، ودرجة اضطرابها، وميولها واستعداداتها، وفضح أسرارها، وإمالة اللثام عن غرائزها، ومكوناتها الداخلية، ونزعاتها الفطرية...٣". فالرواية "تتفوق على الحياة الحقيقية في القدرة على اجتذابنا إلى أعماق ووعي الناس الذين قد لا نجد سبيلاً آخر لفهمهم فهماً جيداً"٤.

ولقد قدم الكاتب صورة معبرة عن العالم الداخلي لشخصياته، برصد المشاعر والأفكار الدفينة في الأعماق، وكشف الدوافع الكامنة وراء السلوك، وإظهار التفاعلات والصراعات الداخلية، وتحليل الخبايا الدفينة. فرسم صورة للذات الشرقية التي تعيش حالات من القلق داخل وطنها، وفي عمق مجتمعتها، مصدره حالة السخط والاستياء من الواقع المتدهور، والفقر المدقع لغالبية الأفراد، والعادات المنبوذة، والسلوكيات المرفوضة، مع عجز على مواجهة تلك السلبيات ومعالجتها. يقول البطل لمحبوبته: ساخراً من الواقع السيء حولهما: "مطبات الهواء في السماء كحارة بيتكم. التاكسي رفض أن يدخل حارتكم في الصباح...٥".

وعن الفقر المدقع الذي تعانيه أسرته يتساءل: "من أين ستجئ أمه بثمن الرحلة إلى كوبنهاجن. ينبغي أن تعطيه ثمن تذكرة كريمة أيضاً"٦، " تذكر وجه أمه، وهي تعطيه تحويشة العمر، قالت له: انتبه يا شريف...٧". كما يكشف عن تمكّن المرض من أهله والمحيطين به: "قال له: أبي مريض...٨". والرجل الجالس الجالس بجواره في القطار: "سعل الشيخ أمامه في القطار. تناثر الرذاذ على وجه شريف...ازداد سعال

١ - محمد يوسف نجم: فن القصة - دار الثقافة - بيروت - لبنان - دت - ص ١٠٠.

٢ - سمير روجي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرؤيا - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ٢٠٠٣ - ص ٢٠.

٣ - سمية الشوابكة: التراث والبناء الفني في أعمال محمد جبريل الروائية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ط ١ - أغسطس - ٢٠٠٥ - ص ٣٥٥.

٤ - روجر ب. هينكل: قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير - ترجمة صلاح رزق - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ١٩٩٩ - ص ٢١٨.

٥ - محمد جلال: حب في كوبنهاجن - ص ١٧٠.

٦ - المصدر السابق: ص ١٤٦.

٧ - المصدر السابق: ص ١٦٣.

٨ - المصدر السابق: ص ١٤٤.

الشيخ... خيل لشريف أن روح الرجل ستخرج مع سعاله" ١. ووالد كريمة "يرقد الشيخ في فراشه... يسلم نفسه للفرش" ٢، "ظهره مقوس أكثر مما كان" ٣؛ وتمخض عن هذه الأوضاع شعور الذات بتوتر دائم، واضطراب مستمر، واغتراب نفسي حاد تعيشه وتعانيه. مثال ذلك، الصورة النفسية التي رسمها الكاتب لأبطال نصه السردي، والتي تعكس الواقع المعيش في الوجدان الشرقي، خاصة عند فئة المثقفين، الذين يمتلكون: وعياً فكرياً، وثقافة واسعة، واطلاعاً على حضارات الآخر. فبطل الرواية (شريف)، يسيطر عليه القلق الدائم في كل أفعاله وأقواله، ومواقفه: عندما سألته خطيبته عن السفر: "ارتجفت أنفاس شريف" ٤، وحين أخبرته اعتراض والدها على السفر: "تقلقل شريف في جلسته... ارتعشت نبرة شريف" ٥، وحينما أعلمته محبوبته بكذبها على والدها، في سفرها مع صديقة لها: "ضغط على شفته السفلى... اختل توازن شريف. كاد يسقط... ٦. والمقطع والمقطع السردى التالي يجسد حالة القلق والتمزق الداخلي والصراع المحتدم في أعماق البطل، عندما نسي دبلة خطوبته في ملابسه التي سوف تغسلها أمه؛ فتتكشف حقيقة ارتباطه بالفتاة القاهرية، وتركه لخطبة ابنة عمه: "رأى زبيدة في وجهه... تذكر الدبلة الذهبية. نسيها في جيب البنطلون. ستغسل أمه البنطلون. ستعثر عليها، وتشعل الدنيا. الولد خرج عن طوعي. وينهار حلمه. اندفع يجري. كأنه لا يراها. سمع اسمه. التقت عيناه بوجهها. وجهه بلون الليل. غمغم بشيء لم تسمعه. لهث وهو يجري. صرخت أصوات الليل. قال صوت خبير: البقرة تموت من الحزن. صوت الناي ابتلعه الصراخ" ٧. و(كريمة) حين شاهدت والدها في حالة ضعف ووهن؛ يصيبها الخوف والاضطراب: "اضطربت. أفصح صوتها عن اضطرابها... انكمشت كريمة في جلستها" ٨. والعالم النفسي المتوتر القلق الذي تحياه كريمة -عندما تأخر شريف في قريته؛ ليأخذ رأي أهله أهله في خطبتهما - تصوره الفقرة التالية: "تحملق في ساعة يدها. الزمن يجري. عينها تدوران. شريف لا

١ - الصفحة نفسها.

٢ - المصدر السابق: ص ١٥٨، ١٥٧.

٣ - المصدر السابق ص ١٥١.

٤ - المصدر السابق: ص ١٣٩.

٥ - المصدر السابق: ص ١٤٠.

٦ - المصدر السابق: ص ١٤١.

٧ - المصدر السابق: ص ١٥٥.

٨ - المصدر السابق: ص ١٥١.

يجيء... الليل يهبط. النيل يرقد تحت قدميها. النسمة تروح ولا تجئ. تناثرت القوارب بقعاً سوداء. الأنفاس راكدة. رمت النيل بقطعة حجارة...^١.

وقلق الذات يصيبها في أحب الأوقات إليها، لحظة تحقيق حلمها بالسفر للآخر، والاحتكاك به، ورؤية حضارته؛ فحين فرغ (شريف) من إعداد أوراق السفر إلى الغرب تنتابه حالة من القلق خوفاً على الأوراق من الضياع، وحرصاً على تحقيق حلمه في الرحيل للآخر والوصول إليه: "تحسسها. يتخيل في لحظة ما أنه سيضع يده في جيبه فلا يجدها... توترت أصابعه. امتدت تمسك أوراق السفر، يضغط عليها، كأنه يضغط على كريمة، لم يجدها. فقدها. انخلع قلبه. جرت نظراته مذعورة وراءه. تبين أن أصابعه ضلت الطريق إلى جيب جاكته الذي بداخلة أوراق السفر، أمسك الأوراق بقبضة يده؟

أخرجها من جيبه. لن تخفى لحظة عن عينيه. طار بقدميه...^٢.

وظلت مشاعر القلق والتوتر والإحساس بالغرابة تلاحق الذات خارج وطنها، في رحلتها إلى فضاء الآخر؛ فعندما ركب شريف وكريمة الطائرة متجهين إلى الدنمارك لتحقيق أملهما في اللحاق بالآخر للاستفادة والمنفعة؛ يصيبهما حالة من الإحساس بالخوف والتمزق الداخلي؛ وهذا مرجعه إلى هجرتهما البلد التي نشأ فيها، وتوجسهما من الأرض المجهولة/فضاء الآخر، والتي لم يتعودا عليها. يفصح عن هذا، الفقرة السردية التالية: "قلبا يتساقط. الطائرة لاتزال تجري على الأرض؟ أنفاسه تحتضن كريمة. صدرها يرتفع... يقاوم شريف الخوف برموشه. بيتسم. ابتسامته تذوب في خوفه. الأشياء تترنح في عينيه. أطبقت كريمة جفنيها... غمغمت بأية الكرسي... دفس شريف الحلوى بين شفتيها برعشة. الخوف يبتلع صوته أيضاً: تشجعي يا كريمة... ترتفع الطائرة. انفجر الرعد في أذنيها. تساقطت الأشياء حولها. تجمدت الحروف بين شفتي شريف...^٣". و(شريف) تسيطر عليه حالة قلق وتوجس في تواصله مع الآخر؛ فعندما جلس بجوار فتاة شقراء، تقرأ، أراد أن يسألها عن الكتاب، ولغته ومحتواه، لكن توجسه وتوتره جعل صوته محبوساً؛ فلم يصل إليها: "أراد أن يسألها بالإنجليزية. سألها بصوت خافت. لم تسمعه الفتاة. خشي أن تكون...^٤". و(كريمة) تنتابها حالة من القلق من الآخر، فعندما وجدت الفتاة الشقراء تميل على خطيبها، الجالس بجوارها: "صوت

١ - المصدر السابق: ص ١٥٧.

٢ - المصدر السابق: ص ١٦١، ١٦٢.

٣ - المصدر السابق: ص ١٦٥، ١٦٦.

٤ - المصدر السابق: ص ١٦٧.

الطائرة يملأ رأسها. خطت مسرعة. مشت بين المقاعد...قالت كريمة غاضبة: دمها ثقيل...١". وشعرت بأن رحلتها إلى الآخر تحمل الكثير من المجهول، وأن فيها نهايتها: "ارتعشت ساقاها. هل تنفجر الطائرة؟ انخطف قلبها. جرت دقات قلبها في اتجاه شريف...٢". و(كريمة) في العاصمة الدنماركية قابلها رجل دنماركي، وضحك في وجهها ضحكة عالية، وكاد يحضنها؛ فتصاب بحالة من الخوف الشديد والقلق: "انكشمت في وقفته على عتبة محل...٣". وعندما علم(البطل) بأن مهدد بالقتل من الرجل الدنماركي: "شعر باحتقان في حلقة...انكمش في وقفته...سمع صوت شيء يتمزق في داخله. تحمله قدماه ليهرب...يهرب في كوبنهاجن. ساقاه ترتعشان...٤".

والعالم النفسي المضطرب، والإحساس بالضعف والخوف الذي أصاب(البطل)عندما أوقفته فتاة الليل، واختارته بأصابعها، تناوله ورقة؛ يكشف عنه المقطع السردى التالي: "ارتعشت شفته السفلى. انكشمت أصابعه وهو يتناول الورقة. يقرأ...اختارته دون كل العابرين. شعر باضطراب. تصلبت عيناه...٥". والرجل الدنماركي الشاذ الذي جلس بجوار الذات/شريف، والتصق به، وطلب منه أن يصحبه لبيته، وغمز له؛ حينئذ يصاب البطل بحالة من الهلع الشديد: "كأن شريف سقط في جب. ضاعت قدرته على أن يتنفس...ارتجف وجهه بالاشمزاز...شعر بالموت...٦".

وبهذا يتضح أنّ الذات الشرقية تعيش قلقاً دائماً في كافة جوانب حياتها، وفي كل أوقاتها؛ فصار القلق يحاصرها ويسيطر عليها تجاه كل شيء، فعاشت غربة واغتراباً أينما حلت.

ج . الصورة الاجتماعية: لكى يتم الكاتب رسم شخصياته، ويقدمها للقارئ في صورة واضحة وكاملة، يجب عليه وصف الجانب الاجتماعي لكل شخصية من شخصيات العمل القصصي، من خلال وصف الطبقة التي تنتمي إليها الشخصية، وتوضيح العمل الذى تقوم به كل شخصية، وبيان نشاطها داخل المجتمع، والبيئة التي تعيش فيها: في القرية أم المدينة. ولا شك أنّ هذا البعد له أثر كبير في إضاءة الشخصية، وتوضيح

١ - المصدر السابق: ص ١٧١، ١٧٠.

٢ - المصدر السابق: ص ١٧٠.

٣ - المصدر السابق ص ١٩٧.

٤ - المصدر السابق ص ٢٨٢، ٢٨٣.

٥ - المصدر السابق: ص ١٧٩.

٦ - المصدر السابق: ص ٣١٣، وما بعدها.

ملاحمها، وتبرير سلوكياتها وتصرفاتها؛ مما يجعلها مقبولة ومقنعة^١. كما يتمثل في البعد الثقافي للشخصيات من خلال: الكتب التي يقرؤونها، واهتماماتهم وأنشطتهم الثقافية، والمراحل التعليمية التي وصلوا إليها، والشهادات العلمية التي حصلوا عليها. مثال ذلك كريمة وشريف مازالا يدرسان في الجامعة^٢. وابن العمدة يكمل دراسته في إنجلترا^٣. والشيخ رضوان يقرأ دوما القرآن الكريم^٤، ويؤذن لصلاة الفجره. والبطله تحرص على قراءة آية الكرسي^٥. والبطل يدقق في كتاب مكتوب باللغة الدنماركية^٦. ووالد البطل شيخ خفراء القرية^٨.

ولقد استطاع الكاتب في روايته من خلال تجسيد الواقع الاجتماعي لشخصه؛ التعبير عن الأوضاع الاجتماعية السائدة داخل مجتمعه، حيث: الفقر، والجهل، والمرض، والتخلف. فالبطل قلق؛ لا يعرف من أين يأتي بثمن تذكرة السفر للبحث عن عمل، يوفر له احتياجاته^٩. وكريمة تعيش في بيت قديم، في قاع حي الحلمية العتيق^{١٠}، درجات سلمه متأكلة، بجوار بائع أكفان^{١١}. والمرض ينهش الذات؛ فالشيخ رضوان والد البطله مريض^{١٢}. والرجل العجوز الذي قابل البطل؛ يسيطر عليه المرض، حتى إن البطل اعتقد أن روح العجوز ستصعد؛ ففقر بسرعة ليفتح النافذة؛ لينقذه^{١٣}.

ويعلن الكاتب عن الصورة الاجتماعية للذات في شكل عادات اجتماعية، ألفها المجتمع كمارسات، ومنها: احترام الثوابت الاجتماعية في الزواج؛ فعندما ذهب شريف لخطبة كريمة؛ يسأله والدها عن أبيه وسبب عدم

١ - محمد كمال سرحان: بناء القصة القصيرة عند يوسف السباعي - مرجع سابق - ص ٩٣.

٢ - محمد جلال: حب في كوبنهاجن - ص ١٤٤.

٣ - المصدر السابق: ص ١٤٥.

٤ - المصدر السابق: ص ١٦٣.

٥ - المصدر السابق: ص ١٦٦.

٦ - المصدر السابق: ص ١٦٥.

٧ - المصدر السابق: ص ١٦٧.

٨ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٩ - المصدر السابق: ص ١٤٦.

١٠ - المصدر السابق: ص ١٦١.

١١ - المصدر السابق: ص ١٦٣.

١٢ - المصدر السابق: ص ١٤٤، وما بعدها.

١٣ - المصدر السابق: ص ١٤٤، ١٤٥.

حضوره معه؛ فيكذب قائلاً: " - أبي مريض. سيجيء عندما يصح" ١. والواقع أنّ سؤال والد العروس جاء تأكيداً لاحترام العادات الشرقية في الزواج. ومن العادات والتقاليد الشرقية زواج الأقارب، والتي تنتشر بصورة جليّة في المجتمعات الريفية، خاصة الصعيد، فوالد شريف ذكره بأنه سيتزوج ابنة عمه بعد أن يكمل دراسته الجامعية ٢.

ومن العادات الشرقية التي أشار لها النص، تغطية المرأة الصعيدية لوجهها، مثال ذلك، في القطان: "فتاة تخفي وجهها في طرحة سوداء" ٣. والتمسك بالخرافات عادة تلجّ على بعض أهل الشرق، كالتفاؤل برفة العين استبشاراً بالخير، البطل: "الصباح حمل له التفاؤل. عندما ترف عينه اليسرى يهبط الخير. رفت عينه اليسرى في الصباح" ٤.

والترابط الأسري عادة شرقية، ومبدأ ديني أصيل في المجتمع؛ فداخل الأسرة: الصغير يوقر الكبير، ويخضع لأوامره؛ مثال ذلك كريمة تستأذن والدها في الموافقة على السفره. ومن خصوصيات المجتمع العربي الغيرة على المحبوب؛ فكريمة أصابتها الغيرة والغیظ الشديد عندما لاحظت فتاة شقراء تميل على خطيبها شريف، وترغب في محادثته ٦. وشريف اشتاط غضباً، واهتاج الدم في رأسه عندما وجد دنماركياً يحدث كريمة ٧. ويشير الكاتب إلى بعض العادات السلبية في الشرق، مثل عدم احترام خصوصية الآخر، وهذه ظاهرة في المجتمعات الشرقية، ولا نجدها في المجتمعات الغربية؛ فكريمة عندما جلست على شاطئ النيل تنتظر خطيبها: "تنهت. أحد الشبان يرقبها. تلملت في جلستها... اقتر الشاب منها. لا تميز ملامحه ... سقط الشاب الذي تجاسر على وحدتها بالجلوس. انتفض قلبها. هاجمها بنبرته الصلعاء: القمر يجلس وحيداً. تكور الغضب في يدها. رمته بحذائنها. جري الشاب مذعوراً" ٨.

١ - المصدر السابق: ص ١٤٤.

٢ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٣ - المصدر السابق: ص ١٤٣.

٤ - المصدر السابق: ص ١٦٢.

٥ - المصدر السابق: ص ١٤٠.

٦ - المصدر السابق: ص ١٦٦، ١٦٧.

٧ - المصدر السابق: ص ١٨٣.

٨ - المصدر السابق: ص ١٥٩، ١٥٨.

ومن هنا تمظهرت الذات الشرقية اجتماعياً في التعبير عن الواقع الاجتماعي لها، وفي الشخصيات التي يمثل حضورها في النص السردى إعلاناً عن الانتماء لكل ما هو شرقي؛ فتصبح الحياة الاجتماعية للشخصيات تصويراً لواقع عيني. كذلك تجسدت الصورة الاجتماعية في الإحالة إلى الثقافة الاجتماعية الشعبية التي تميز المجتمعات الشرقية/العربية من عادات وتقاليد راسخة، يخضع لها الجميع، ويأتمر بها. هذه العادات تشكل عنواناً تراثياً ذا مرجعية ثقافية في المجتمع الشرقي.

ثانياً- صورة الآخر: الآخر في النص هو المخالف للذات والمناقض لها: فكرياً، وثقافياً، وحضارياً وجغرافياً، وتاريخياً، وسياسياً، واجتماعياً؛ ومن ثم لا ينتمي لنظامها عامة. والآخر له سمات وخصوصيات لا تتكشف إلا بإدراك الذات، التي تسهم - بشكل كبير - في تحديد الآخر وعالمه الخاص به، بناء على التناقضات والاختلافات التي تؤصل العلاقات والصراعات بينهما. ذلك الآخر الذي تتضح صورته في تمثيلات ثلاثة: الجسدية، والنفسية، والاجتماعية.

أ. الصورة الجسدية: الملامح الجسدية لها أهمية كبرى في تفسير وتبرير كثير من أنماط الشخصية، وتقبلها لدى القارئ؛ ولهذا يجب أن " تتسق مع طبيعة الدور الفني الذي تقوم به الشخصية في الرواية"١. وقارئ الرواية يجد عناية بالغة برسم الشخصية، وتحديد ملامحها وأبعادها المختلفة، وتوضيح مكوناتها، حتى تصير مقنعة وواقعية، وتعطينا صورة معينة جميلة للحياة، وكأنها تجري في طريقها الطبيعي. ومن مظاهر ذلك الاهتمام، الاسم الذي يعدّ: "أول دليل على شرعية وجود الشخصية، وحق حضورها في الظاهر"٢؛ " فالتسمية ضرورة نظراً إلى وجود هذه التسمية في الواقع العياني للبشر، بها يميز بعضهم بعضاً"٣.

وفي بناء صورة الآخر يحرص الكاتب على الإتيان بنماذج غريبة دون تحديد اسم علم، يميزها، ويحددها، ويكشف خصائصها. وله في ذلك تنوعات متعددة، منها: الاكتفاء بذكر ألقاب مهنية، مثل: عازف، مغنية، مضيضة طيران، أو النسب إلى مواطن إقامة الشخصية، مثل: امرأة يابانية، الرجل الدنماركي، أو استخدام أسماء صفات تميز الشخصية عن غيرها، مثال ذلك: رجل عجوز، رجل سكير، فتى، شباب نادي الجنس، فتى لاو، زوج، صبية، فتاة الليل، فتيات نادي الجنس، فتاة لاهية، فتاة عارية. أو الإتيان بألفاظ القرابة: مثال ذلك:

١ - طه وادي: دراسات في نقد الرواية - دار المعارف - ط٢- ١٩٩٣ - ص٢٦.

٢ - سمية الشوابكة: التراث والبناء الفني في أعمال محمد جبريل الروائية - الهيئة العامة للثقافة - ط١ - أغسطس - ٢٠٠٥ - ص٣٥٦.

٣ - أحمد السماوي: فن السرد في قصص طه حسين - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - صفاقس - تونس - ط١- ٢٠٠٢ - ص٣٤٩.

أبي، أمي، أخي، عمي. وأخيراً تعميم الاسم دون ذكر اسم أو لقب، مثال ذلك: صوت رجل، صوت أنثوي. والكاكتب يهدف من وراء عدم ذكر اسم علم للآخر؛ إشعار المتلقي بالتباعد والمسافات البينية بين الذات والآخر، وتأكيد عدم اندماج الذات في الآخر، والإشارة إلى أنّ الآخر ظلّ غامضاً، غير معروف، مجهول الهوية للذات. فالآخر الغربي نكرة مجهولة، لتعميق فكرة التباعد الفكري والحضاري والأيدولوجي بينهما؛ وهذا لأن "بطل القصة يكون نكرة مجهولة... إذا قصد المؤلف ذلك من أجل مغزى فني، يتسق مع طبيعة الحكاية التي يسردها"^١. فالكاكتب يلمح إلى أنّ هذا الآخر يحمل فكراً ومفاهيم متنافرة مع ما تتمسك به الذات من قيم ومبادئ.

والبعد الجسدي للآخر له سماته ومعامله التي تميزه عن غيره، حيث إنّ الشخصيات في النص السردية لها ملامح أوروبية، تخصها، وتفرقها عن الأجناس الأخرى. فالأنثى الأوروبية تتصف بأنها بيضاء شقراء، ذات الشعر الأشقر والعينين الخضراوين أو الزرقاوين، والبشرة ناصعة البياض، والساقين الطويلتين الرشيقتين، والصوت المنخفض، والحيوية والنشاط، والاعتماد على النفس، وكذلك الرجل الأوروبي له العديد من الصفات المعروفة التي يشتهر بها وتميزه عن غيره. ونجد لذلك نماذج كثيرة ومتنوعة. مثال ذلك الفتاة التي جلست بجوار البطل: "فتاة شقراء، تميل برأسها... أصابعها رفيعة... وجهها مبتسم"^٢. ومضيفة الطائرة أنثى رقيقة، نشيطة، تتسم بالحيوية الدائمة: "تتنقل كالفراشة..."^٣، "ذات عيون زرقاء"^٤. وصاحبة البيت الذي يسكن فيه البطل: "... سيدة كالقمر"^٥، "وضح أنها أصغر سنّاً مما يعتقد"^٦، "... في عينيها لون البحر"^٧، "... جسدها الأبيض"^٨. وفتاة الملهى: "كشف جسدها عن بياض كالنور. تفجر جنونه"^٩، "عارية كأنها جنية... فكت أسر شعرها. تراقص الشعر حولها... اكتست بفستان بلون جلدها، تقفز على الصخور برشاقة

١ - طه وادي: القصة ديوان العرب، قضايا ونماذج - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - ٢٠٠١ - ص ١٩٩.

٢ - محمد جلال : حب في كوبنهاجن - ص ١٦٦، وما بعدها.

٣ - المصدر السابق: ص ١٦٧.

٤ - المصدر السابق: ص ١٦٩.

٥ - المصدر السابق: ص ١٧٧.

٦ - المصدر السابق: ص ١٩٠.

٧ - المصدر السابق: ص ١٩٣.

٨ - المصدر السابق: ص ١٩٤.

٩ - المصدر السابق: ص ٢٧٥.

راقصة باليه...١"، "... تراقص صدرها الذي بلا قيود...٢"، "كشفت جسدها عن بياض كالنور...٣". وزوج المرأة المرأة الدنماركية "...رجل فارغ...٤". والرجل الشاذ يتسم: "بشفتين رقيقتين. تخيلهما شفتي امرأة...٥". وصاحب الملهي: "رجل ذو شارب أصفر، يحمل وجهه الابتسامة التي رآها على وجه المرأة التي تجلس تحت اللافطة...٦"، "عيناه كالصقر...٧".

ويلاحظ - أحياناً - أن هناك تقارباً وتشابهاً في الملامح الجسدية للآخر/الذكر والأنثى؛ فالبطل رأى فتية وفتاة يجلسان معاً على مسافة، ولم يستطع التمييز بينهما: "عادت نظراته تتفرسهما من جديد. تبين له أنه لن يستطيع أن يميز الفتى من الفتاة. فشرهما طويل. وجسدهما بلا تضاريس. والخواتم في أصابعهما...٨"، "كل الوجوه في كوبنهاجن متشابهة"٩، "الرجال كالنساء هنا...يتركون شعورهم"١٠.

وانطلاقاً مما سبق يتضح أن الملامح الجسدية للآخر - في هذا النص - تتبدى في صورة، تُظهر تكريس الكاتب لفواصل وتقاطعات، يؤكد من رسمها على السمات الملامحية والتقاسيم، ذات الوسم الغربي. صورة تبدو مختلفة اختلافاً كبيراً مع صورة الذات، هذا الوصف الفسيولوجي جاء من منظور ورؤية الذات للآخر. ويلاحظ أن صورة الآخر الجسدية تشكل من الملامح التي تبدو فيها شيئاً من الجمالية، وذلك ما تركز عليه الذات - بشكل واضح - في رسمها للآخر من منطلق الجمال في الناحية الجسدية، مع بعض من مظاهر الأنوثة والإغراء؛ وهذا مرجعه الانبهار السطحي والساذج للذات بالآخر وحضارته ورقية المادي.

ب. الصورة النفسية: اعتنى الكاتب أثناء رسمه لشخصياته بتوضيح الملامح النفسية، والتي "تشمل الجوانب التي تتصل بالشخصية من الداخل، مثل الصفات الخلقية المختلفة التي تتسم بها، والحالات النفسية المتباينة التي تعتربها، ووصف مشاعرها المختلفة"١١. والكاتب في هذا النص كثيراً ما يجنح لتقديم صورة نفسية

١ - المصدر السابق: ص ٢٥٥، ٢٥٤.

٢ - المصدر السابق: ص ٢٧٤.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٧٥.

٤ - المصدر السابق: ص ٢٦٧.

٥ - المصدر السابق: ص ٢١٢.

٦ - المصدر السابق: ص ١٨٣.

٧ - المصدر السابق: ص ٢٠٣.

٨ - المصدر السابق: ص ٢٢٦.

٩ - المصدر السابق: ص ٢١٠.

١٠ - المصدر السابق: ص ١٨٢.

١١ - وليد محمد غيبور: الأشكال القصصية في النثر العربي في القرنين الخامس والسادس للهجرة - رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة

القاهرة

- ٢٠٠٥ - ص ٢٣.

للآخر مبنية على الألوان الانفعالية والأطياف الشعورية من خلال رؤية الذات للآخر؛ لإمطاة اللثام عن أعماق الشخصية، وكشف خباياها.

وقد قدّم الكاتب العديد من الإشارات النفسية لتأطير شخصية الآخر، ومن ذلك اتصاف الآخر بالنظام والالتزام؛ مثال ذلك سيدة البيت الذي تقيم فيه الذات، تمنع الازعاج والضحك والضوضاء ليلاً، تقول كريمة: "سيدة البيت تطردنا. الضحك في الليل ممنوع"١. كذلك صاحبة البيت انزعجت - كثيراً - من الذات/شريف؛ لأنه طرق الباب بشدة وعنف، فأفقدتها ابتسامتها: "دقّ الباب دقاً متصلاً. متعجلاً. يريد أن يلقي كريمة... ثم يفتح الباب. خمن أن رنين الجرس لا يصل حجرتها... ضرب الباب الخشبي بقبضة يده. انفرج الباب عن وجه امرأة... غمغم مرتبكاً... فطن أنّ السيدة غاضبة... اعتذر لها...".٢.

ويتسم الآخر باحترام مشاعر الغير وتقديرها، وهذا ما فعلته المرأة الدنماركية مع الذات/شريف؛ شاركته حالته النفسية المتدهورة، واحترمت دموعه الغزيرة؛ فاستمعت له، وحاولت التخفيف من همومه: "انفجر باكياً. احتمت المرأة الدنماركية بصمتها، أطفأت السيجارة. كأنها بهذا تحترم دموعه...٣. والآخر نشيط محب للعمل، حريص على متابعته، لا يلهيه عنه شيء، مثال ذلك صاحب الملهي: "قفز الرجل كعصفور. آلتة الحاسبة تدق. تبينت أنها شغلته عن آلتة...٤"، "تذوب ضحكته عندما يرتفع صوت الآلة الحاسبة...٥"، "آلة الرجل الحاسبة تدق. ضحكته ترن في المحل"٦. ويبدل هذا الرجل كل جهده ووقته للكسب، وإنجاح العمل؛ ويضحى بأي شيء لاستمرار عمله، وتسيطر عليه النفعية والمصلحة؛ فيتعامل ويتعاقد مع كل من ينمي ويزيد كسبه، فهو يعرض على الذات/كريمة، العمل معه في المحل؛ لثقتة في قدرات الشرق وأهله، فهم يمتلكون الخيرات العديدة ومقومات النجاح - وإن كانوا لا يستغلونها-: "ماذا تقولين؟ تعملين معي. أريد شعاع شمسكم يطل على مملكتي. تقفين معي في هذا المكان في مواجهة الباب، لا أريد غير هذا. تعطين ابتسامتك للداخلين. أريد لزبائني أن يتدفقوا بحرارة البسمة. وأدفع لك ما تريدين...كل ما تريدين...٧".

١ - محمد جلال: حب في كوينهاجن - ص١٧٦.

٢ - المصدر السابق: ص١٩٠، ١٨٩.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٦٤.

٤ - المصدر السابق: ص ١٩٨.

٥ - المصدر السابق: ص ٢٣٩.

٦ - المصدر السابق: ص ٢٧٧.

٧ - المصدر السابق: ص١٩٩.

وفي هذا إشارة قوية إلى أن الغرب مازال يرى في الشرق مصدرًا لا ينضب من الخيرات، وأنه لا غني له عن اللجوء للشرق لنهب خيراته واستنزافها، سواء باحتلال أرضه قديماً؛ أم حالياً بجذبه لفضائه، وسلب قوته، ونهب خيراته المتبقية.

كما أن حرص الآخر على البحث عن الذات ومشاركتها يعدّ - في الواقع - عودة للتاريخ العريق للذات/الشرق العربي وحضاراته العريقة وتاريخه الناصع سواء أكان في أرضه أم حين كانت رايات العرب خفاقة في سماء الأندلس؛ ومن هنا جاء الآخر غازياً محتلاً أرض الشرق، وبقي فيها عقوداً، ناشراً ومنمياً كل أسباب الضعف والهوان والفرقة فيها. كما عمل الآخر - بمكر وخديعة - على ربط الشرق ببلاد الغرب، والاحتياج إليها، والنظر إليه على أنه مركز العلم والحضارة، بطرح شعار "مركزية الحضارة"، معلناً أنه يمتلك مشروعاً حضارياً كونياً عالمياً، وفي الوقت ذاته حرص الغرب على تشكيل ثقافات الذات وتفكيرها بما يتناسب مع الهيمنة المطلقة للحضارة المركزية، مع دعوة شعوب الذات للتخلي عن ثقافتها وتفكيرها وحضارتها، من حيث هي حضارات دونية؛ كانت سبب تأخرهم؛ وكان لذلك عظيم الأثر في نجاح الآخر في ربط الذات به وبلادته وحضارته، ارتباطاً يصل للعشق، وهذا ما يؤكد الآخر في تواصله مع الذات: "مملكتي الصغيرة...يجيئون إليها من كل الدنيا...لا يجيء مملكتي سوى العاشقين أيضاً...يبدو في عينيك السمرابين العشق. تفضلي...١"، "أريد شمسكم يطل على مملكتي...٢".

والآخر في صراعه مع الذات يمتلك ثقة عالية بنفسه وبقدراته التأثيرية في الذات، فصاحب الملهى عندما رأى كريمة - أول مرة - كان على ثقة من عودتها إليه، وبالفعل عادت إليه؛ فقال لها بثبات وتباهي: "تفضلي يا أميرتي. عندما رأيتك بالأمس. عرفت أنك ستجئين مرة أخرى"٣. ويُظهر الآخر معرفته القوية بأرض الذات، بكل تفاصيلها، في إشارة لاحتلال الغرب للشرق، وبقائه في أرضه عشرات السنوات، وصول ويجول في جوانبها، لا يترك شبراً إلا ونزل فيه، يستهلكه وينهبه. يقول الرجل الدنماركي - عن أرض الشرق - في نبرة عالية كلها اعتزاز وتباه: "بلاد خوفو، أعرف بلادكم...٤"؛ "تعرفني الحجارة...إنني عاشق...٥".

١ - المصدر السابق: ص ١٩٨.

٢ - المصدر السابق: ص ١٩٩.

٣ - المصدر السابق: ص ١٩٨.

٤ - المصدر السابق: ١٩٨.

٥ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

ومن صفات الآخر الإعلان عن ماديته في جرأة منفرة وإباحية زائدة في الأفعال، تحت شعار مبدأ الحرية؛ مثال ذلك: الفتاة الشقراء في الطائرة تميل في جرأة برأسها، وتحدث شريفاً ١. وشريف "أبصر فتى وفتاة يتحدثان في فرشاة واحدة. لثت أنفاسه. سمع كريمة تقول: شيء مقرف. تجمعت رائحة الأجساد في أنف كريمة ٢"، كما أبصرت كريمة امرأة عارية الصدر...٣. وعلى شاطئ البحر" أبصر شريف فتاة عارية كأنها جنية. تجلس على الصخرة. تجفف جسدها...٤". قالت له الفتاة الدنماركية أنّ عملها هو أن تخلع ملابسها. وتجلس أمام الكاميرا طوال النهار. تصور أفلاماً للجنس. وفي المساء...٥. وتحاول إغواء الذات بأن: "جرت إلى حجرة النوم. جرى شريف في أثرها. احتمت بسريرها. جسدها أبيض... ملابسها تناثرت على أرض حجرة النوم اللامعة"٦. وشريف عندما ذهب لرؤية كريمة وجلس في الغرفة، شاهد صاحبة البيت "تركت باب الحمام مفتوحاً...تصبب العرق في جبهته. تطلع باب الحمام. المرأة تخلع ملابسها. رأى في عينيها رغبة أخفتها بضحكة ساذجة...٧. وفي الشارع فتاة توزع إعلانياً لتشجيع المارة على دخول نادي الجنس: "الفتاة اختارته أصابعها. تناوله ورقة. ارتعشت شفته السفلى. انكشمت أصابعه وهو يتناول الورقة. يقرأ: نادٍ للعري على بعد خطوات...ستلقاني هناك بعد قليل...٨".

وبهذا يتضح أن الكاتب استطاع تجسيد العالم النفسي لشخصية الآخر في صورة نفسية دقيقة ومعبرة، من خلال إشارات نفسية توّطر الآخر، وتعكس خباياه. والملاحق النفسية تشف عن شخصية: منظمة، ملتزمة بالنظام، ومحبة للعمل بجد، تكافح لإنجاحه بكافة السبل المشروعة وغيرها، وظهر أنّ الآخر عاشق للحرية والانطلاق من أسر القيود، منغمس في رغباته وملذاته، يبذل محاولات عديدة لإشباع غرائزه المتدافعة في أشكال سافرة منفرة، تكشف عالمه المادي المسيطر. كما ترمي الرواية إلى التأكيد على حنين وارتباط الغرب للشرق

١ - المصدر السابق: ص ١٦٦

٢ - المصدر السابق: ص ٢٢٠

٣ - المصدر السابق: ص ٢٤٢

٤ - المصدر السابق: ص ٢٥٤

٥ - المصدر السابق: ص ٢٦٥

٦ - المصدر السابق: ص ٢٧٥

٧ - المصدر السابق: ص ١٩٣

٨ - المصدر السابق: ص ١٧٩

وخيراته وجماله؛ فبالرغم من مغادرة الغرب للشرق واستقلال الشعوب والمستعمرات إلا أنه لا يزال حاضراً، بقوته وسطوته، بالأثار والمبادئ الخبيثة التي غرسها في الشرق وأهله؛ فجعله مرتبطاً به، منجذب نحوه.

ج - الصورة الاجتماعية: يحرص (محمد جلال) في روايته على إضاءة شخصيات الآخر في صورة واضحة بوصف البعد الاجتماعي لها. مثال ذلك توضيح عمل ومهنة الشخصية. الفتاة ذات العيون الزرقاء مضيئة طيران^١. والدنماركي ذو الشارب الأصفر صاحب ملهى^٢. وفي أحد شوارع كوبنهاجن رجل وامرأة يبيعان العنب^٣. ويتضح البعد الاجتماعي من خلال وصف المكان الذي تعيش فيه الشخصية، مثال ذلك، كوبنهاجن بلد جميلة جذابة لزوارها: "نتجول في المدينة. كوبنهاجن جميلة في الليل. ليها لا يقاوم..."^٤. والبيت الذي تؤجره المرأة الدنماركية يتصف بالنظافة؛ فشريف: "شم رائحة نظافة البيت..."^٥. هذا البيت به الحجرات لها صورة محددة؛ فهي تتسم بالضيق، والرائحة الغريبة، والشكل غير المعهود: "الحجرة ضيقة ... أثاث الحجرة له رائحة...باب الحمام ملاصق للحجرة...الحجرة سجن..."^٦. وبيت الشباب الذين بلا مأوى: "فيه الضوء خافت. الجدران خرسان. الوجوه أشباح. الأنفاس خانقة...هذا البناء ينام فيه الشباب الذي بلا مأوى...تفجرت موسيقى صاحبة...عريدت الموسيقى. زار الراقصون...تجمعت رائحة الأجساد في أنف كريمة...الصالة الممتدة زعت بالأجساد العارية...امتألت الصالة بالشباب...ينامون في حضن بعضهم..."^٧. ومحل الرجل الدنماركي "بدا كعلبة الزجاج..."^٨.

وتتمظهر الصورة الاجتماعية للآخر في النص في صورة محددات سياقية لغوية؛ تستحضر قيماً تعبيرية جمالية ذات إحالات على أبعاد، تُشكل صورة الآخر وأنماطه الاجتماعية والتي تختلف عن الذات المغايرة؛ وذلك تَبَلُّور في المرأة الدنماركية صاحبة البيت، والتي تمتلك ثقافة اجتماعية، جعلتها قادرة على بسط قيمها ومبادئها، "سيده البت تطردنا. الضحك في الليل ممنوع"^٩. هذا العبارة تعبر عن ثقافة اجتماعية

١ - المصدر السابق: ص ١٦٩.

٢ - المصدر السابق: ص ١٩٩.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٠١.

٤ - المصدر السابق: ص ١٧٤.

٥ - المصدر السابق: ص ١٩١.

٦ - المصدر السابق: ص ١٧٣، وما بعدها.

٧ - المصدر السابق: ص ٢١٧، وما بعدها.

٨ - المصدر السابق: ص ١٨٣.

٩ - المصدر السابق: ص ١٧٦.

أصيلة لدى الآخر، كما تُظهر الثوابت الاجتماعية التي يؤمن بها، ويلتزم بتنفيذها داخل مجتمعه، ومن يخالفها يكن عرضة للعقاب. كذلك يصور الكاتب تمسك السيدة بالالتزام النظام والقواعد الاجتماعية، والذي تمظهر في غضبها الشديد لتجاوز (شريف) في الدق على الباب بعنف؛ فلم يكتف بالجرس، بل دق الباب الخارجي بقبضة يده؛ مما أثار استياءها من هذه الفعل، التي تعدّ خروجاً على العادات الغربية وتجاوزاً للمشاعر الإنسانية من منظور الآخر. ومثال ذلك - أيضاً - وصف العاصمة كورنهماجن بالجمال والنظام؛ والنظام؛ والالتزام الجميع باتباع قواعد النظام، إلا أن الذات تخالف ذلك، بالمرور من المكان غير المخصص لعبور المشاة؛ في إشارة للالتزام الآخر وهمجية الذات وعدم خضوعها للنظام والتطور. فالبطل: "يعبر الميدان من مكان ليس مخصصاً للعابرين...".^٢

وكي تكتمل صورة الآخر وضوحاً يكشف الكاتب عن البعد الثقافي له؛ بكشف الاهتمامات والأنشطة الثقافية التي يتمسك بها. مثال ذلك، في الطائفة فتاة شقراء: "تخرج كتاباً من حقيبتها. تقلب صفحاته... الفتاة الشقراء تلتهم صفحات الكتاب... غارقة في كتابها...".^٣ وفي الطائفة نفسها: "صوت الموسيقى...".^٤ وفي الميدان: "الميدان: رجل يداعب أنعام جيتاره...".^٥، "وامرأة تقرأ كتاباً...".^٦ وفي الملهى: "فتاة تغني، وفتى يعزف على جيتاره...".^٧

كما يشير الكاتب إلى ديانات الآخر الغربي عندما ذهب البطل لزيارة محبوبته، وفي مدخل البيت: "خطا خطوتين في الممر. وقعت عيناه على صورة المسيح مصلوباً في نهاية الممر. استقرت في ذهنه تفاصيل هذه الصورة منذ اللحظة التي استأجر فيها الحجر...".^٨ كما يشير الكاتب إلى حرية العقيدة لدى الآخر؛ فالرجل الدنماركي يرغب في تغيير دينه ليتزوج من المرأة التي أحبها وأعجب بها.^٩

١ - المصدر السابق: ص ١٩٠، ١٨٩.

٢- المصدر السابق: ص ٢١٥ .

٣ - المصدر السابق: ص ١٦٦، وما بعدها.

٤ - المصدر السابق: ص ١٦٦.

٥ - المصدر السابق: ص ١٨٤.

٦ - المصدر السابق: ص ٢٠٩.

٧ - المصدر السابق: ص ٢٢٩.

٨ - المصدر السابق: ص ١٩٠ .

٩ - المصدر السابق: ص ٢٧٩ .

في ضوء هذا العرض تتضح رؤية الكاتب للآخر الغربي في روايته؛ حيث ساهم في إلقاء الضوء على أهم المميزات والخصائص التي تسم هذا الآخر، وتجعله مختلفاً شكلاً وفكراً وروحاً وثقافة عن الذات في كافة صورها المتعددة.

ثالثاً - الصراع الروائي داخل النص السردى

يرتكز البناء السردى في رواية (حب في كوبنهاجن) على عنصر أساسي بارز في النص؛ تتمثل في الصراع القائم على وجود قوتين متقابلتين: الذات الشرقية، والآخر الغربي. هاتان القوتان المتصارعتان مختلفتان في جوانب متعددة منها: الأيديولوجيات، والنشأة، والموقع، والعادات، والفكر، والثقافة، والتطلعات؛ مما ينتج عنه مواجهة، تؤدي إلى حركة مستمرة ومتنامية للأحداث نحو التطور، والوصول للذروة الهرمية، ثم الهبوط النازل للنهاية التي تشعب تطلعات المتلقي. ولقد اقترن الصراع بحركة مستمرة وتفاعل إيجابي نشط، يقوم على مواجهة ضارية بين القوتين، أساسها المسافات المتباعدة بين قطبي الصراع، والتي تؤكّد عنها ثنائيات ضدية قائمة على التناقض بين الجانبين، تزداد بزيادة المسافات المتباعدة بين قطبي الصراع، مثل: الروحانية والمادية، والتخلف والتطور، الثبات والتحول؛ مما يترتب عليه "وجود طرفين موجب و سالب، فاعل و منفعل، مملقح و مملقح، تطرح نفسها على الفور، كعملية ذات حدين مذكر ومؤنث"^١.

ويبدأ الصراع داخل النص السردى بتوجه الذات الشرقية العربية/ شريف، وكريمة إلى الآخر الغربي الأوربي؛ بحثاً عن فرصة عمل لزيادة الدخل وتحسين الأوضاع. ويلاحظ أنّ الذات كانت صاحبة السبق في إدارة الصراع وتحريكه وتوجيهه، تبعاً لمواقف الآخر وردود أفعاله المثيرة وممارساته العنصرية تجاهها؛ حيث ينفي عنها التطور والرقى الحضاري والتراث العريق، ويثبت لنفسه كل جديد في العلم والحضارة.

ولقد جاء الصراع في الرواية قوياً؛ حيث تمكنت الذات من خوض مواجهة وصدام مع الآخر، واستطاعت في نهاية هذه التجربة من تحديد هويتها، والإعلان عنها بوضوح، بعد اكتساب الخبرة والدربة؛ فالبطل/ شريف يترك وطنه، ويبدل الجهد لتوفير تذكرة طيران؛ ليحقق هدفه في السفر إلى كوبنهاجن، ورفع مستواه المعيشي؛ فيترك بلده، ويقطع علاقته بابنة عمه التي وعده أبوه بالزواج منها، ويرتبط بفتاة قاهرية مثقفة وواعية، ويقرر خطبتها، ويقنعها بفكرة السفر معه، ويخوضان

١ - جورج طرابيشي: شرق و غرب، رجولة و أنوثة، دراسة في أزمة الجنس و الحضارة في الرواية العربية - دار الطليعة - بيروت - ط٤ - ١٩٩٧ - ص ١٠.

-معاً - تجربة الصدام مع الآخر، ويواجهان جفاء الآخر وقسوته وإيمانه بالماديات وإشباع الرغبات فقط، بعيداً عن الروحانيات، والإنسانيات الشرقية، ويكتشفان -مع مرور الأيام - حقيقة الغرب وما يتسم به من مادية خالصة وحرص قوي على تلبية نداء شهواته بقوة؛ ظهرت آثارها في المجاهرة بها في كل مكان دون حذر أو خفاء، في الأماكن العامة والخاصة، في الداخل والخارج. وبعد فترة وجيزة، ووسط غلاء المعيشة، تنفذ أموالهما، ويتعرضان لأزمة مالية؛ تجبرهما على ترك غرفتهما، واللجوء إلى بيت شباب بلا مأوى، ويسعيان للبحث عن عمل، وفي خلال سعيهما يتعرضان للصدام مع الآخر، ويعانيان قسوته المادية، وغرقه في بحر شهواته، لا يوقفه دين ولا عادات اجتماعية؛ فشريف فوجئ برجل دنماركي شاذ، يلتصق به، ويعرض عليه صحبته في منزله مقابل ما يطلبه من مال وطعام طوال إقامته في كوبنهاجن، لكن الذات تصاب بصدمة قوية وفزع، ويشعر شريف بشيء يطبق على أنفاسه، ويرفع صوته في رفض قوي: لن أعمل، ويهرب. ويسقط شريف مرة أخرى في شباك امرأة دنماركية لعوب، تغويه وتجذبه؛ فيذهب معها إلى بيتها، وتحت إشعاع جسدها وجمال قدها، يقيم معها علاقة جنسية، يثبت فيها فحولة الشرق وقوته، في مغامرة، يعترف فيها الآخر بنجاح الذات وتفوقها الذكوري، وتعلن هذه المرأة -بعد شعورها بالنشوة والإشباع معه - حبها له، وتقرر الارتباط، معلنة أنها ستخبر زوجها بذلك؛ حينئذ يتعرض (شريف) لمطاردات الآخر، وملاحقاته للتخلص منه والقضاء عليه؛ فيصاب شريف بفزع ورعب، ويرى الموت يحاصره، وتختل الأشياء في عينيه وقدميه، ويأتي الشرق بصوره وأصواته في ذهنه، ويشعر بأن الورد بلا رائحة، ويحس بغربة مفرجة. وأمام قسوة الآخر وغروره، وأفعاله المستفزة وعدوانيته وعنصريته، يجد البطل - بعد أن حدد هويته - أنه لا مأمّن له ولا طمأنينة له إلا بعودته لبلده، ويقرر العودة لمحبوبته الشرقية.

والبطلة/كريمة تتمرد على العادات والتقاليد الشرقية، وتصر على السفر رغم شعورها بالقلق - وفي كوبنهاجن بعد أن تعرضت لضيق مادي، تقرر الخروج للعمل، ولا تجد سوى عمل في نادٍ ليليّ، عرضه عليها صاحب النادي، لتراقب العملاء الداخلين والخارجين؛ فتوافق، وتتعرض لمضايقات الآخر، في صور متعددة؛ فأحد الرجال يلمس صدرها، فيتدفق الدم في عينيها وتضربه بقدمها، وآخر يقترّب منها يريد أن يحضنها، وأرادت أن تجري، ولكنها تثبت بقوة أمامه، وعندما رغبت في ترك العمل، يلاحقها صاحب الملهى، ويؤكد لها أنها لن تهرب منه، وأرادت أن تطبق على أنفاسه، وتخلص منه. ورجل الدنماركي يعرض عليها الزواج، ويغير دينه. كذلك انتابها حالة من الفزع والاختناق لشعورها بضياح حبيبها وسقوطه في شباك امرأة دنماركية.

وصارت تشعر بمحاصرة الآخر لها في كل مكان؛ فبدأت تضيق ذرعاً بفضاء الآخر، ورغبت في أن تنقذ نفسها وحبیبها من براثن الآخر الذي يضيق عليهما الخناق، وصار يحاصرهما ككريستين، وقررت أن تسرع بالرحيل مع حبیبها والعودة للوطن.

ومن ثم نجد أن الذات وجدت في الهروب من فضاء الآخر والحنين للوطن والتمسك به، ثم العودة إليه إعلاناً صريحاً عن حب الشرق وقوة الانتماء إليه، والتمسك بالهوية الشرقية، وإبراز تعمق قيم الشرق ورسوخها في أبنائه، والتي مثلت حصناً منيعاً أمام الآخر المختلف نوعياً وحضارياً، وأيضاً إشارة ضمنية للتعويض عن فشل الذات في مواجهة الآخر. ويلاحظ من قراءة الصراع أن الذات قد نجحت بصورة بارزة في تحديد هويتها وهدفها وإرادتها، والعودة الإيجابية للوطن، إنقاذاً للنفس من الاستلاب والاعتراب والضياع: "أبصر كريمة مزروعة بين أعشاب الشاطئ. بدت للحظة كأنها جنية قادمة من البحر. كالحلم وجدها تندفع نحوه. أخذته في حضنها. عرف أنها كريمة بنت الشيخ رضوان من رأتحتها. لم يسمع أنفاسه. ذابت في أنفاسها. الماضي لم يعد ماضياً. تلاشى... والدموع تجري كأنها طوفان... جرياً معاً. يدها في يده. الهواء يرفرف فوقهما. والموج يتراقص تحت أقدامهما...".^١

رابعاً - مراحل الصراع والمواجهة بين الذات والآخر، وتضم مرحلتين، وهما:

(١) مراحل صراع الذات مع الآخر الغربي: المواجهة الحضارية داخل النص السردية تشكلت من خلال توجه الذات/البطل، إلى الآخر/ الغرب الأوربي؛ هروباً من الواقع الشرقي المتدني، وبحثاً عن عمل يرفع مستوى المعيشة، ومن هنا كانت المواجهة غير متكافئة. والصراع في هذا النص يتمظهر في عدة مراحل، وتشمل

أ - مرحلة التطلع والانبهار: هذه المرحلة تكون نقطة البداية لمعرفة الذات بالآخر، والتطلع إلى إنجازاته العلمية والحضارية، وتبدأ هذه المرحلة قبل سفر الذات لفضاء الآخر، وكذلك بعد دخولها هذا الفضاء والتفاعل معه. وغالباً تكون هذه النظرة في البداية فطرية ساذجة أو نظرة واعية -نسبياً- بالفوارق الموجودة بين الشرق/ المكان الأصل، والغرب/ موطن الجمال والجدب، وذلك مرجعه الهوة الشاسعة البعد بين المتصارعين في كافة مجالات النضج والتطور البشري. وظهر تطلع الذات للآخر في وقت مبكر، قبل نزولها فضاء الآخر؛ فهي تشاقق لولوج عالمه، وهبوط فضائه، والاحتكاك بشخصياته. مثال ذلك الحوار التالي بين بطلي الرواية/ شريف، وكريمة -الممثلين للذات في النص- والذي يعبر عن شوقهما للسفر، وتحقيق حلمهما

١ - محمد جلال: حب في كوبنهاجن - ص ٢٨٦.

بالوصول إلي فضاء الآخر، فهذا يعدّ حلمًا، تنتظره الذات بكل مشاعرها وخلجاتها: " ذابت أصابعه في أصابعها. قالت : متى نسافر؟ ارتجفت أنفاس شريف. قال: متى يتحقق الحلم ؟" ١.

والذات تشعر بالزهو والفخر -بين أقرانها في بلدها - لتمييزها بالسفر؛ فشريف يزهو بنفسه، لأنه سيحقق حلمًا لم يحققه أحد من أبناء قريته، وكذلك أهله يفخرون بسفر ابنهم: "سيفرح أبوه عندما يعلم أنّ ابنه سيسافر إلى الخارج. لن يقول له إنه مسافر إلى كوينهاجن عاصمة الدنمارك. عندما يذكر أبوه الخارج لا يذكر سوى بلاد الإنجليز...شعر شريف بالزهو. سيحقق حلمًا لم يصنعه أحد في بلده من قبل. أسند رأسه على حافة المقعد الخشبي...٢". وشريف بعد أن أنهى أوراق السفر يعتني بها، ويزداد حرصه عليها، خوفًا عليها من الضياع، ومجرد شعوره وتفكيره في ضياعها، ينخلع قلبه، ويصيبه الذعر: "فرغ من إعداد أوراق السفر. يتخيل في لحظة ما أنه سيضع يده في جيبه فلا يجد الأوراق...توترت أصابع يده. امتدت تمسك أوراق السفر، يضغط عليها كأنه يضغط على كريمة، لم يجدها. فقدتها. انخلع قلبه. جرت نظراته مذعورة وراه. تبين بعد قليل أنّ أصابعه قد ضلت الطريق إلى جيب جاكته الذي بداخله أوراق السفر، أمسك الأوراق بقبضة يده. أخرجها من جيبه. لن تختفي لحظة عن عينيه. طار بقدميه. سيطيران فوق البحر الأبيض في الصباح الباكر. أغمض عينيه نصف إغماضة...٣". وتري كريمة أنّ سفرها مع شريف إلى كوينهاجن، وصحبتها له في رحلته، حماية لها مما هي فيه؛ حيث يحملها لبر الأمان في فضاء الآخر: "شريف كل الرجال. قاربها الذي انتشلها من ماضيها. يأخذها على صدره الحنون. يحملها إلى بر الأمان...٤".

وعندما تطأ الذات فضاء الآخر تزداد انبهاراً به وبعالمه؛ ينبهر شريف بالآخر وأجوائه الحافلة بالسعادة والراحة؛ حيث: "تمتلئ وجوه الناس بالراحة...٥". والآخر يبهر نزلاءه بسحر جماله وطبيعته الخلابة، يقول شريف لمحبوبته: "أريد أن نتجول في المدينة. كوينهاجن جميلة في الليل. ليلا لا يقاوم...٦".

١ - المصدر السابق: ص ١٣٩.

٢ - المصدر السابق: ص ١٤٥.

٣ - المصدر السابق: ص ١٦١، ١٦٢.

٤ - المصدر السابق: ص ١٥٩.

٥ - المصدر السابق: ص ١٦٧.

٦ - المصدر السابق: ص ١٧٤.

وتنبهر الذات بما تتسم به أجواء الآخر من حرية غير مقيدة؛ شريف: "تفجر الدم في رأسه. كريمة ستكون معه. تنام معه في حجرة واحدة... خيل له أنه يسمع أنفاس كريمة وهي نائمة. فتح فمه... ١. وفي الطائرة: "تفسر المضيفة ذات العيون الزرقاء... ٢. وتنبهر الذات بالآخر في تحرره وانطلاقه في حريته دون قيود؛ شريف ينبهر بصاحبة المنزل، ويتطلع إليها، وهي عارية داخل الحمام: " تخفضت من ملابسها. شعر بالانشراح لأنه جالس في مكانه. والباب مفتوح... تركت باب الحمام مفتوحاً. تصبب العرق في جبهته. لم يقرب امرأة في حياته. تطلع إلى باب الحمام. المرأة تخلع ملابسها... توقع أن تخرج عارية. أصاخ السمع. سمع حركة... ٣. وكذلك شريف "يحملق في لوحات العري المتصدرة المحل... كأنه يشرب بعينيهِ العري... ٤. "عيناه على الفتاة التي تفتنى في قبلة فتاها... ٥. وكريمة - أيضاً - : "منصرفه. تتفحص بعض الصور العارية باهتمام. الصور تتصدر محلًا للجنس... ٦.

ب - مرحلة التودد والتقرب: الذات هي التي سعت واجتهدت للوصول إلى فضاء الآخر الأوربي؛ ومن ثم فهي تمثل جانب الضعف والخضوع في مواجهة الآخر ممثلاً للقوة والجبروت؛ لهذا كان الصراع بين قوتين غير متكافئتين في كافة الجوانب؛ وترتب على هذا أن الذات في رحلتها مع الآخر تنتهز الفرص والمواقف للتقرب منه، والتودد إليه لمعرفة وفهمه، والتواصل معه، من أجل الاستمرارية والوجود في ساحته. مثال ذلك بطل الرواية/ شريف عندما جلس بجوار فتاة شقراء، وهي تقرأ كتاباً، يحاول التقرب إليها، وفتح باب الحوار معها، ويسألها عن الكتاب الذي تقرأه، واللغة المكتوب بها. وعندما ذهب شريف؛ ليسأل عن كريمة، قابلته المرأة الدنماركية صاحبة البيت، فحاول التودد معها بلغة الرجل الشرقي: "بأن ارتسمت على وجهه ابتسامة... ٨. والبطلة عندما ذهبت لمقابلة صاحب المهوى؛ رغم ما يُظهره من أفعال تثير الغضب والغيط؛ إلا أنها ثبتت واقتربت منه، وظلت صامدة، وتحاول فهمه وتفسير أفعاله: "حملقت كريمة في عينيه. لا

١ - المصدر السابق: ص ١٤٦.

٢ - المصدر السابق: ص ١٦٩.

٣ - المصدر السابق: ص ١٩٣.

٤ - المصدر السابق: ص ٢٠٠.

٥ - المصدر السابق: ص ٢٠٣.

٦ - المصدر السابق: ص ١٨١.

٧ - المصدر السابق: ص ١٦٧.

٨ - المصدر السابق: ص ١٩٠.

٩ - المصدر السابق: ص ١٩٧.

يرتجف لها رمش! "١. والبطللة - أيضاً - لديها رغبة وتطلع لاكتشاف الآخر ومعرفة بلاده وشوارعها؛ ليسهل التعامل معه، تقول: "لا أعرف في كوبنهاجن سوى هذا الشارع. مشيت فيه. وجدت قدمي تدفعا لي للوقوف أمام هذا المحل. أتفرض، ينبغي أن أرى...٢".

ج - مرحلة المواجهة والصدام: لاشك أن وجود الذات في فضاء الآخر ساعد على الاحتكاك والتفاعل بين الطرفين بتعدد التعاملات والاحتياجات المختلفة؛ فتعددت مستويات النقد، فزاد الصراع، وتباينت ردود الأفعال والمواقف، وقويت المواجهة والصدام بين القطبين المتناقضين، ويشتعل الصراع قوةً بمواجهة جمعية للآخر ضد الذات.

الآخر الغربي في هذه المرحلة يتباهى بقوته ومجده التاريخي في أرض الشرق، ويفتخر بسيطرته على الشرق، وقدرته على إذلاله وتراجعته. وهذا يتضح من الرجل الدنماركي/رمز الغرب، الذي يظهر قوته وتفوقه بضحكة مجلجلة تناثرت على وجه كريمة/رمز الشرق، التي انكشيت في وقفها، وتراجعت؛ مما كان له كبير الأثر في إحساس الغرب بقوته وثباته وتفوقه في المواجهة: "مسح الرجل جانباً من شنبه الأصفر. بدا على ملامحه كأنه يريد أن يحضنها...٣". هذه القوة والجرأة أشعرت الذات/الشرق بضعفه وتخاذله: "كريمة أرادت أن تجري...٤". لكن الذات/الشرق يتذكر تاريخه ومجده، وصموده في مواجهة الآخر أثناء احتلاله للأرض، فتُبعث القوة والحياة فيه؛ فيثبت في مواجهته، كريمة: "الدفء يسري في قدميها...٥". ولا يكتفي الشرق بهذا الموقف فقط، بل يقف موقف الخصم المنافس القوي: "بدأت أنها تقترب من الرجل الضاحك...٦". ويزهو الآخر بحضارته الحالية، واشتياق العالم لرؤيتها وزيارتها: "مملكتي الصغيرة...يجيئون إليها من كل الدنيا...إنني عاشق لا يجيء مملكتي سوى العاشقين...٧".

١ - المصدر السابق: ص ١٩٨.

٢ - المصدر السابق: ص ٢٠٣.

٣ - المصدر السابق: ص ١٩٧.

٤ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٥ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٦ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٧ - المصدر السابق: ص ١٩٨.

كما يظهر الآخر تفاخره باحتلاله لكل أرض الشرق، ومعرفته بكل جوانبها، ويعتز بأنه بنى حضارته على حضارة الشرق؛ بأنه أخذ منها ما يكفي لانطلاقه وتطوره: "قال الرجل، وهو يهلل: بلاد خوفو...أعرف بلادكم...أعشق لقاء خوفو في ضوء القمر...قال كالمسحور:

- عندما يصبح قمركم بدرًا. أتسلق هرم خوفو. الحجارة تخدشني. صنعت هذا في ربيعكم الماضي. تعرفني" ١.

ويؤكد الغرب على حقيقة أنه عندما ترك احتلال الشرق، فإنه لم يعطه إلا استقلالاً صورياً؛ حيث إنه مازال يحتله فكرياً وثقافياً، فهو مازال تحت سيطرته، يخضع له ويرتبط به ويلجأ إليه، والآخر على ثقة كبيرة بعودة الشرق إليه دوماً، يقول الرجل/الغرب لبطلته الرواية/الشرق: "عندما رأيتك بالأمس. عرفت أنك ستجئنين مرة أخرى...٢".

ويزداد الصراع قوة، وتبدأ المواجهة في التبلور والظهور أكثر عندما تسترد الذات/ الشرق جسارتها التي فقدتها في المواجهة؛ فتبدأ في نقد حضارة الآخر، لطغيان الجانب المادي بصورة بارزة، فهي تنتقد المادية الأوربية التي تبيح الحرية لإشباع الرغبات والشهوات بصورة تصل للنفور والضيق؛ فالجنس هو الشكل والنمط الأبرز في كل مكان: "دارت عينها حولها. الجنس يضطجع على الجدران. الواقفون حولها ينامون بعيونهم. وصناديق تبدو كأسرة. يتزاحمون حولها. يلقون بقطع العملة الصغيرة. وينظرون من ثقب ويرون. وترى كريمة البهجة ترتعش في مؤخر رؤوسهم...٣". وتتباهى الذات بقناعتها بالبعد الروحي المميز لحضارة حضارة الشرق: "تذكرت كريمة أباهما الشيخ. سمعت أنفاسها. الدفاء يخدر رموشها...٤". حينئذ لا يجد الآخر مفرًا من المواجهة العنيفة والصدام مع الذات:

"أمسكها الرجل الدنماركي من يدها...هزها:

- أنت قوية.

١ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٢ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٣ - المصدر السابق: ص ١٩٨، ١٩٩.

٤ - المصدر السابق: ص ١٩٩.

شعرت بوقع أصابعه. رفعت أصابعه عن ذراعها. راق له حركتها. عبرت ضحكته عن ذلك. اشتعلت حروف كلماته حرارة...^١. ويفقد الآخر ثباته، ويكشف عن وجهه القبيح؛ فيفضح مشاعره وحقد الدفين، مؤكداً أن الشرق مازال قوياً، حضارته صامدة، لا يقدر أحد على النيل منها، ورغم تتابع وتعاقب الأزمان إلا أنها: "قوية. شمسكم تقتل الضعف في داخل الإنسان. إنني أعرفها..."^٢.

ويرغب الآخر في استعادة فكره الاستعماري النفعي القديم في الاستفادة من الشرق وخبراته، بأسلوب جديد؛ حيث يرغب في استنفاد واستغلال ما تبقى من قوة الشرق، عن طريق استغلال أبنائه، بأن يقيم معهم شراكة عمل في فضائه؛ فيعرض على الذات أن الوقوف معه ومساندته في عمله المادي؛ فيطلب منها أن تساعد في نشر الحرية التي يؤمن بها: " - ماذا تقولين؟ تعملين معي. أريد شعاع شمسكم يطل على مملكتي. تقفين معي في مواجهة الباب. لا أريد غير هذا. تعطين ابتسامتك للداخلين. أريد زبائني أن يتدفقوا بحرارة البسمة. وأدفع لك ما تريدين... كل ما تريدين..."^٣. وترفض الذات بقوة، مصدرها شقيقتها الأصلية، ونشأتها في بيئة شرقية محافظة، في حي الحلمية القديمة، وتزداد ثباتاً بإحياء قيم الشرق التي تربت عليها: "التهب شيء حار في أعماقها. انفجرت ابنة حي الحلمية. عبرت عنها بكل خلجة في نفسها. لا تدري ماذا فعلت على وجه الدقة..."^٤. والواقع أن الآخر لم يتعجب من ثبات الذات وموقفها الراسخ، لأنه في رحلة المواجهة، مرت تجاربه بالعديد من صور صمود الشرق وثباتهم الراسخ في المواقف المتنوعة.

والآخر/ الغربي لا يكل ولا يتعب في ملاحقة الذات؛ فإذا فشل مع أحد أفردتها، يكرر المحاولة مع ذات شرقية ثانية، يبذل كل الحيل والخدع للإيقاع بها في شركه، واستنفاد كل طاقاتها لمنفعته وإشباع رغباته. مثال ذلك الرجل الدنماركي الشاذ يحاصر الذات الشرقية/شريف؛ يتابعه، ويلاحقه، ويتتبع خطواته، محاولاً بكل الوسائل المبتذلة الإيقاع به؛ يعرض عليه المال الكثير، والطعام الدسم اللذيذ، وكافة وسائل الإغواء والإغراء، مؤكداً أنه اختاره دون غيره؛ لأنه النوع الشرقي المرغوب الذي يريده، ويرفض في ثبات وقوة.^٥

١ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٢ - المصدر السابق: ص ١٩٩.

٣ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٤ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٥ - المصدر السابق: ص ٢١٠، وما بعدها.

د - مرحلة رفض الآخر والعودة: الذات عاشت صراعاً قوياً مريباً مع الآخر، وفشلت في تحقيق حلمها في العمل والحصول على السعادة، وتحطمت أحلامها الوردية التي كثيراً ما عاشتها؛ حيث تجد واقعاً مغايراً لكل تصوراتها التي رسمتها وشكلتها تخيلاتها وأحلامها؛ فتجد حياة قاسية شرسة، لا ترحم من لا يملك أسس البقاء: "افترشنا الحدايق، طاردتنا كلاب الشرطة... كلاب شرسة. أنتظر ثمن العودة من أبي. كانت أُمي لا يد لي أن أسافر..."

- لكنهم قالوا لنا أن الحياة هنا سخية. والرزق....
لم يدعه يكمل عبارته.

- ضحكوا عليك !

- الحياة هنا تعطي... ولكن بئمن فادح ! "١".

" قالت بصوت مرتعش:

- ليس معنا ثمن طعام الصباح. ونام في غابة من الأجساد العارية. ليس أمامنا سوى هذا....
شعرت بالخوف"٢.

وبعد الصراع مع الآخر، وفشل التناغم واللقاء، واكتشاف حقيقة الآخر، وما يتسم به من: عنف، وحقد، وكراهية، وقسوة، ومادية تطغى على كل جوانب الحياة، وعادات وطبائع لا تتناغم مع الشرق وخصاله؛ تبدأ الذات في رفض الآخر، والافتناع باستحالة اللقاء بينهما. مثال ذلك كريمة/ الذات الشرقية تنفر من الآخر/الغرب، حيث إنها كلما مرت بمكان وجدت العري والجنس والشذوذ، فقد ضاقت بكل الأمكنة؛ مما جعلها تشناق للشرق: " قالت كريمة:

- ليتني سمعت كلام أبي الشيخ ! تنبهت حواس شريف.

- أنت الذي أقنعتني بالمجيء. اخترت لي بلداً تأكل البشر. تريد أن تتخلص مني. المرحومة جدتي كانت تحكي لي عن بلدة تتحول إلى غولة تأكل البنات وتتسلى بالصبيان.
ودفست يدها في صدره.

١ - المصدر السابق: ص ٢٠٨، ٢٠٩.

٢ - المصدر السابق: ص ٢٢٢.

- إنني خائفة من أمانا الغولة يا شريف. لا تغمض عينيك حتى تراها وهي تهجم عليّ. ستأكلني... تبتلع عظامي. عظامي تتكسر...^١. وتؤكد الذات رفضها للبقاء في فضاء الآخر: " - لا أطيق النوم هنا! "٢. وتكشف الذات عن رغبتها الصادقة في الهروب من فضاء الآخر والعودة لفضائها الشرقي الآمن مطمئن أهله: " قالت وهي تدبب بقدميها:

- أريد أن أعود إلى أبي الآن. لن أبقى لحظة واحدة في هذه المدينة. بيتنا في الحلمية بالدنيا.

استوعبت الصالة الممتدة بنظرة. زرعت بالأجساد العارية.

صرخت: يا لهوي... يا لهوي... تعالي يا أمي.. الحقي بنتك! "٣.

وتقول مؤكدة رفضها الآخر وفضاءه: "نغادر هذه المدينة الملعونة. لا أطيق أن أبقى فيها لحظة واحدة. إنني أختنق. لا أستطيع أن أتنفس..."^٤.

وكريمة عندما طلبها الرجل الدنماركي للزواج، امتألاً رأسها بصوت أبيها يرتل سورة الرحمن، وتخيلت وجه أبيها وهو يرفع وجهه من المصحف الشريف، ويبصر الرجل الدنماركي في ذراعيها...
تصورت الشيخ يموت بالسكتة القلبية"^٥.

ومن صور الهوة الشاسعة للتباعد بين الشرق والغرب أن المرأة الدنماركية التي أقامت مع شريف علاقات خاصة، وروعت شهوتها معه؛ تتخلى عنه، وتتركه، وتغلق دونه الباب، بعد أن كانت تلهث وراءه، وتتطلع إليه في كل لحظات حياتها: "دفعته إلى الباب الخارجي... أغلقت الباب خلفه... تحمله قدماه ليهرب... لم يتطلع إلى نافذة البيت. تعود عندما كان يخرج وحده يتطلع إلى النافذة. فيجد المرأة الدنماركية قد فتحت بيدها النافذة التي لا تفتح وألقت بنصفها منها. ملوحة بيدها. كأنها

لا تريد أن تضيع لحظة يمكن أن تراه فيها ولا تنتهزها..."^٦. والرجل الدنماركي يطارد شريف ويرغب في قتله

١ - المصدر السابق: ص ٢٢٠.

٢ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٢١.

٤ - المصدر السابق: ص ٢٢٣.

٥ - المصدر السابق: ص ٢٥٩.

٦ - المصدر السابق: ص ٢٨٣.

والتخلص منه... فرقع في أذنيه صوت الزجاجة وهي تتكسر. ابتلع ريقه. حلقة مجروح. يريد الرجل أن يقتله بزجاجة خمر مكسورة...^١.

وتؤكد الذات الشرقية/شريف، على أن لقاء واندماج الشرق مع الغرب أمر لا يتجاوز حدود الخيال: "ارتقى على الأرض... يغمض عينيه. بدا له أن الذي جري لهما منذ جاء كوبنهاجن كحلم..."^٢.

ويصل التباعد والرفض مدى بعيداً بين القطبين المتناقضين؛ بأن ذاكرة الذات ترفض الاحتفاظ داخلها بأي شيء يذكرها بالآخر؛ فقد مُحبت صورته ولم يبق لها أثر: "شريف... اختلت الأشياء في عينيه. في قدميه. لا يعرف اسم الشارع الذي به محل الجنس. الناس يتحدثون بلغة لا يعرفها. كأنه اكتشف اللحظة أنه لا يعرف لغة الدنماركيين. أحس بالجوع..."^٣.

وانسجاماً مع ما سبق يتضح أن الذات استنفدت كل طاقاتها الاحتمالية للبقاء في فضاء الغير، ولم تعد تمتلك القدرة على احتمال التعايش مع الآخر، الذي لم يترك طريقاً لها إلا وأغلقه، ولم يُبق لها متنفساً للحياة؛ مما جعلها ترغب في الرحيل السريع والهروب إلى فضائها المتسع، الحافل بالأمان والروحانيات التي تعمر القلب وتملؤه راحة واستقراراً.

(ب) مراحل صراع الذات مع الآخر الشرقي: مما لا شك فيه - كما سبق - أن الآخر هو الضد أو المختلف مع الأنا في مستوى من المستويات الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية، سواء أكان هذا الآخر في مفهومه الفردي أم في مفهومه الجمعي. وفي النص السردى - محل الدراسة - يتضح أن الصراع لا يقتصر على الصدام بين الذات الشرقية والآخر الغربي، وإنما ظهر نوع آخر من الصدام والمواجهة بين الذات الشرقية وأفراد مجتمعيها الشرقي، والمختلفين معها في: الفكر، والثقافة، والأيديولوجية، والعادات، والتقاليد، وقبول الجديد. وتتمظهر مراحل صراع الذات مع الآخر الشرقي فيما يلي:

أ - مرحلة قلق وتوجس: من الثابت أن هناك اختلافات بيّنة بين الذات التي نالت حظاً - غير قليل - من التعليم والثقافة والاطلاع على التطور التكنولوجي والحضاري وبين الآخر الشرقي المقيد في خضم فكر قديم ثابت، وعادات وتقاليد مخالفة للتطور والعلم؛ وترتب على ذلك حدوث صراع وخلافات بين الطرفين، نتج عنه حالة من القلق والتوجس في التعاملات وأساليب الحياة، وتحديد المستقبل، وصار كل فريق يصاب بالتوتر عند اتخاذ أي قرار يرتبط بالآخر. مثال ذلك كريمة/ الذات والتي عاشت سنين في مجتمع يعاني وطأة

١ - المصدر السابق: ص ٢٨٤، ٢٨٣.

٢ - المصدر السابق: ص ٢٨٤.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٨٥.

العادات والتقاليد وذكورية طاغية؛ فلا قرار للأُنثى في حياتها أو مستقبلها، ورب الأسرة هو صاحب الرأي الفصل في كل ما يرتبط بها؛ مما جعل الأُنثى تعيش حالة من التوجس والقلق عند كل مرحلة من مراحل حياتها، وفي كل موقف يحتاج لاتخاذ قرار. فكريمة عندما رغبت في السفر إلى الدنمارك، تنتابها حالة خوف وقلق من موقف أبيها الشيخ. وعندما رغبت في إخباره بما عزمته عليه: "النسمة لم تعد تحمل غباراً. انطفأت الشمس منذ وقت قصير. قال بجديّة:

- لأنّ الشيخ بصمته بعد أن أخبرته ! ...

واصلت كريمة الحديث:

- تجنب الشيخ نظراتي. أعرف أبي . يفعل هذا عندما يريد أن يحتفظ برأيه. سينفجر في لحظة غير مناسبة. يقسم بأغلظ الأيمان: لن تسافري يا كريمة".^١

وشريف -خطيب كريمة - تصيبه حالة من القلق والرعدة لرفض الآخر/والدها للسفر:

" تقلقل شريف في جلسته...

ارتعشت نبرة شريف :

- إن شاء الله لن يقول الشيخ شيئاً يزعجنا"^٢.

ويعاود القلق الذات مرة أخرى من الآخر الشرقي: " قالت برموشها:

- تخاف يا شريف؟

- أخشى أن يرفض سفرك؟

- ولكنك..."^٣.

والواقع أن قلق الذات من الآخر وقراراته؛ جعلها تتعلق بأمل نيل رضا الآخر. فشريف كان متوجساً من رفض الآخر/والد خطيبته لفكرة السفر؛ فحاول البحث داخل الآخر عن صفة تقرب بينهما، فتذكر طيبة والدها وحبها لها: "تذكر ابتسامة والد كريمة السخية. لن يقول والدها الشيخ شيئاً. يعرف أنه لا يطيق أن يرفض لها طلباً"^٤.

١ - المصدر السابق: ص ١٣٩، ١٤٠.

٢ - المصدر السابق: ص ١٤٠.

٣ - المصدر السابق: ص ١٤١.

٤ - المصدر السابق: ص ١٤٥.

والذات/كريمة تعاني اضطراباً وقلقاً نفسياً من الآخر الشرقي؛ عندما ذهب شريف لقريته لأخذ رأي والده/الآخر الشرقي في الزواج من ابنة القاهرة: "تحملق في ساعة يدها. الزمن يجري. عيناه تدوران. شريف لا يجيء قال لها قبل أن يسافر إلى قريته: سيجئ قبل أن تغرب الشمس... الليل يهبط. النيل يرقد تحت قدميها. النسمة تروح ولا تجئ. تناثرت القوارب بقعاً سوداء. الأنفاس راكدة... فكرت هل رفضت أم شريف... قال لها شريف: أمي لا ترفض لي كلمة. وأبي شيخ الخضراء بلا كلمة..."^١.

وكذلك علاقة شريف بوالده ووالدته/الآخر الشرقي؛ فيها الكثير من التوجس والاضطراب؛ فعندما أراد إخبار والدته برغبته في الزواج من محبوبته والسفر معها إلى الدنمارك: "أمضى الليل يفكر. كيف يخبرها؟ فرك يديه. نغمة الناي تضج في نفسه شيئاً عميقاً... عوى كلب. بقرة الحاج جاد الله يأكلها الحزن. الشيخ جاد الله مات الخميس الماضي"^٢.

وعندما رغب شريف في رفض الزواج من ابنة عمه -التي أرغم على الارتباط بها؛ خضوعاً لعادات وتقاليد أسرته وقريته- يضطرب عالمه النفسي قلقاً وخوفاً عند إخبار الآخر الشرقي/ابنة عمه: "أبصرها قادمة... تبددت نظراته في العمران. العمران أكل لأعواد الذرة الخضراء. صوت ناي حزين قادم من بعيد... قفز الدم إلى عينيه. يبحث عن كلمات يقولها لابنة عمه، أشعة الشمس تجمع نفسها كأنها تحمل نفسها وتذهب... جفت التربة. البيوت تزحف على صدره. لن يستطيع أن يهرب... بقرة الحاج جاد الله تناقلت في مشيتها..."^٣.

وحيثما نسي شريف في جيب بنطلونه دبلة خطوبته - دون علم أهله - من الفتاة القاهرية، يزداد عالمه النفسي توتراً وتوجساً؛ لأن الآخر الشرقي/أمه ستغسل البطون. وستعثر عليها: "وتشعل الدنيا. الولد خرج عن طوعي. وينهار حلمه. اندفع يجري. كأنه لا يراها. سمع اسمه. التقت عيناه بوجهها. وجهه بلون الليل. غمغم بشيء لم تسمعه. لفت وهو يجري. ترنحت بقرة الحاج جاد الله. صرخت أصوات الليل. قال صوت خبير: البقرة تموت من الحزن... صوت الناي ابتلعه الصراخ"^٤.

١ - المصدر السابق: ص ١٥٨، ١٥٧.

٢ - المصدر السابق: ص ١٥٤.

٣ - المصدر السابق: الصفحة نفسها.

٤ - المصدر السابق: ص ١٥٥.

ب - مرحلة تمرد الذات على الآخر الشرقي: الذات تتمتع بعلم وثقافة ووعي وعمق فكري وأيديولوجي؛ منحها قدرة على فهم العصر الحديث، وما يتسم به من تطور علمي وتكنولوجي في كافة مجالات الحياة، فاكتملت الذات ثقة في نفسها وقدراتها العقلية وفهمها للواقع المحيط، ومن ثمّ تغيرت نظرتها للحياة، وصارت قادرة على نقد سلبيات الواقع ورصد مظاهر تخلفه، بل أصبحت لها قدرة على مواجهة الآخر الشرقي والتمرد عليه وعلى أفكاره وعاداته. مثال ذلك كريمة/ الذات تقرر السفر للدنمارك للعمل، وتصير على موقفها، وإن رفض والدها/الآخر الشرقي:

"ألقت بقطعة حجر بعيداً:

- سأسافر حتى لو رفض الشيخ سفري" ١ وكريمة تتمرد على العادات الشرقية، وتنتقل في التحرر من قيود ماضي وتقاليد الآخر الشرقي، فهي فتاة متفتحة منطلقة، تخرج بمفردها مع خطيبها، وتشاركه لعبه ومرحه: "ضحكت كريمة ضحكة خضراء... ذابت أصابعها في أصابعه... لامست ملابسها ملابسها... وضغطت بجسدها على جسده... ٢. كما أنها متحررة؛ لا تضع غطاء على رأسها: "عادت النسمة عفية. تطاير شعرها" ٣. وأثناء سفرها على الطائرة مع خطيبها، ترغب في أفعال غريبة على المجتمع الشرقي ومعتقداته: "رغبت أن تسقط عليه وتنتهز الفرصة وتعضه... وأتتها رغبة في أن تخطف قبعة رجل عجوز، يجلس في المقعد الذي أمامها" ٤.

ويطل الرواية/شريف رافض لواقعه وما به من مظاهر التخلف والفقير: "كره الشارع الضيق، الناس يتنفسون أنفاسه" ٥. كما أنه يسخر من المكان الذي تقيم فيه خطيبته، في إشارة واضحة لرفضه لواقعه الذي نشأ فيه:

" - مطبات الهواء في السماء كحارة بيتكم. التاكسي رفض أن يدخل حارتكم في الصباح... ٦،

" قال لكريمة:

- تعيشين مع الموتى. أبوك يقرأ القرآن. وعلى بابك يكفنون الموتى" ٧.

١ - المصدر السابق: ص ١٤٠.

٢ - المصدر السابق: ص ١٣٩، وما بعدها.

٣ - المصدر السابق: ص ١٥٨.

٤ - المصدر السابق: ص ١٧٠.

٥ - المصدر السابق: ص ١٦٢.

٦ - المصدر السابق: ص ١٧٠.

٧ - المصدر السابق: ص ١٦٣.

وكذلك يتمرد على العادات والتقاليد، ويرفض ارتباطه بابنة عمه -التي خطبها له أبوه - وينزع دبلة خطبتها، ويقرر خطبة زميلته في الدراسة، والتي ارتبط بها قلبه، وزاد تمرده بأن ذهب بمفرده لخطبتها، ودون أن يخبر أحداً من أهله^١.

وفي إشارة لطيفة يلمح الكاتب إلى رفض الذات/شريف كل ما يربطه بالآخر الشرقي؛ حيث إنه -عندما سلك على أهله قبل سفره إلى الدنمارك - نسي كل ما يربطه بهم، في صورة رمزية بفضية عالية: "نسي منديله على سرير أمه، نسي أيضاً صندوق الكعك الذي صنعه له..."^٢.

ج - مرحلة خضوع واستسلام الآخر الشرقي للذات: لا شك أنّ الذات لديها تفوق علمي وثقافي، وتمتلك صموداً وثباتاً في التمسك بقيمها، كما أنها تحرص على الحرية والتخلص من قيود الماضي، وتتسم بقدرة فائقة على الحوار والإقناع؛ وذلك في مقابل: ضعف الآخر الشرقي، وهرمه، وضعف منطقته، وعجزه عن الصمود والثبات أمام ثقافة ووعي الذات، كل هذا أجبر الآخر الشرقي على التراجع عن موقفه والاستسلام والتصالح، تاركاً الساحة للذات؛ كي تثبت وجودها، وتأخذ دورها في مسيرة التطور. مثال ذلك والد كريمة/الآخر الشرقي كان رافضاً لسفرها إلى الدنمارك، مقسماً بأغلظ الأيمان بأنها لن تسافر، لكنها بثباتها على مبدئها ومثابرتها استطاعت أن تقنعه بمنطقها، وتجعله يستسلم لرغبتها؛ فيوافق ويبارك سفرها. ولا يكتفي بهذا فقط، بل يساندها ويقويها، ويشجعها على إكمال مسيرتها؛ حيث يوقظها مبكراً ويطلب منها الإسراع في تجهيز أمورها؛ حتى لا تتأخر عن موعد الطائرة^٣. وظل طوال الليل ساهراً؛ كأنه يحرسها^٤.

والودة البطل/ الآخر الشرقي رغم رفضها لتمرد ابنها على عادات وثوابت المجتمع في الخطوبة بقاهرة غريبة عن واقعها، ورغبته في السفر معها إلى الدنمارك؛ إلا أنها أمام صموده وقناعاته وقوة منطقته وثبات موقفه؛ تستسلم لرغبته، ولا تكتفي بموافقتها بل تقدم له تحويشة عمرها، لتساعده في توفير ثمن تذكرة السفر له ولخطيبته.

١ - المصدر السابق: ص ١٤٤.

٢ - المصدر السابق: ص ١٦٢.

٣ - المصدر السابق: ص ١٦٩.

٤ - المصدر السابق: ص ١٧٠.

خامساً - الفضاء الروائي: الفضاء الروائي له دور أساسي في النص السردي؛ "فهو العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض"^١، "حيث يتداخل مع المكونات السردية الأخرى في علاقات متشابكة متعددة لتشكيل البناء والنهوض به، فيشارك في بناء الأحداث ورسم الشخصيات وتحديد ملامحها وبلورة الرؤية، وخلق المعنى وإظهار اللغة. فالمكان بأبعاده الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والنفسية يؤثر في عناصر البناء الروائي، ويسهم في تشكيل بنية العالم السردي؛ فالحدث لا يتطور ولا ينمو إلا في مكان يدور فيه، والشخصيات تتضح ملامح هويتها وصورتها - لدرجة كبيرة - من خلال الفضاء الذي تتحرك فيه، واللغة تعكس طبيعة المكان الصادرة منه"^٢؛ إنه "المتكأ أو المركز الذي تتحرك منه الشخصيات والأحداث، وتتأثر بطبيعته لغة الرواية وحركة الزمن فيها"^٣. والفضاء له مفهوم شامل لا يقتصر على الدلالة الجغرافية في معناها الضيق المرسوم بأرض محددة أو حيز، كذلك لا يراد به صورته الثابتة الساكنة، وإنما يقصد به "المكان بصورته الدرامية، بتأثره بما حوله، ومن حوله، وتأثيره فيما حوله، ومن حوله، وإسهامه في مسار الأحداث بحيث يصعب إغفاله"^٤. ومن ثم فإن دراسة الفضاء الروائي ليس الهدف منه الكشف عن غايات جمالية معينة، ولكن إظهار دوره الفعّال في كافة عناصر النص السردي؛ مما يتسع المجال لإنتاج أبعاد دلالية وفنية قابلة للتفسير والاستنتاج. والفضاء الروائي في هذا النص السردي يشمل فضاء الذات وفضاء الآخر.

فضاء الذات وفضاء الآخر: في رواية "حب في كوبنهاجن" حضور قوي للذات والآخر في صورة فعّالة، يجسدها المكانان المتقاطبان: الشرق وما يستدعيه من معاني: الذات، والبعد الروحي، والواقع المتدهور، والجهل، والفقر، والتخلف. والغرب الأوربي وما يستحضره من معاني: الآخر، والبعد المادي، والتطور، والتكنولوجيا. هذان البعدان الجغرافيان، يحملان قدراً كبيراً من الأبعاد الحضارية المختلفة والمتناقضة. والواقع أنّ حركة الذات/ شريف وكريمة من فضائها الشرقي إلى فضاء الآخر الأوربي، ثم العودة إلى الشرق مرة أخرى كان لها دور بارز في تفعيل الصراع بين القطبين المتباعدين، وتأكيد انتماء الذات لوطنها والتمسك به وبقيمه الأصيلة، وبكل ما هو شرقي عربي. وبهذا المنطق الراسخ في أعماق الذات، لم تنسلخ عن أصولها الشرقية،

١ - مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله - المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ط١- ٢٠٠٥ - ص ١٢٨.

٢ - محمد كمال سرحان: بنية المكان في رواية "صخب البحيرة" لمحمد البساطي - مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دمياط الجديدة- جامعة الأزهر- العدد الثاني - نوفمبر - ٢٠١٤ - ص ٧٣٥.

٣ - جيهان عبد الخالق مصطفى: توظيف المكان في الرواية المصرية المعاصرة - رسالة ماجستير- مخطوطة - كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٩٣ - ص ٣.

٤ - محمد جبريل: مصر المكان، دراسة في القصة والرواية - المجلس الأعلى للثقافة- ٢٠٠٠- ص ١١.

كذلك لم يكن في مقدورها الذوبان في الآخر، أو كسر نسقها القيمي؛ فلم تندمج في مجتمع الآخر، بل ظلت محتفظة بثوابتها الرصينة، لا تحيد عنها؛ فهي لم تتقن اللغة الدنماركية/لغة الآخر. فعندما ذهب شريف إلى البيت الذي تقيم فيه كريمة، وقابل صاحبة البيت؛ حدثها باللغة العربية سهواً، ثم حاول أن يحدثها بالفرنسية فجاءت ضعيفة؛ لا تسعفه على تحقيق مطلبه: "تنبه أنه يتحدث بالعربية. ارتسمت على وجهه ابتسامة. أسرع يستجمع لغته الفرنسية. يريد أن يحدثها بالفرنسية. لم تسعفه لغته. تلعثم. أشارت إليه بأن يدخل..."^١. كذلك لم تشعر الذات باستقرار مادي أو معنوي في الفضاء الأوربي؛ حيث ظلت في حالة من القلق والاضطراب وعدم الشعور بالأمان والطمأنينة طوال وجودها بعيداً عن وطنها؛ مما يؤكد تمسكها بقيمتها الثابتة، وحملها الموروث المكاني الحضاري الشرقي، أي أنها في حركيتها وانتقالها لفضاء الآخر محملة بالشرق.

إنّ المكان له حضور في الرواية بدءاً بالعنوان الذي جاء محملاً بعيد مكاني مباشر محدد ومعروف، تمثّل في (كوبنهاجن)، عاصمة الدنمارك، وهذا شكّل مفتاحاً استراتيجياً لقراءة النص السردية، والدلالة على مساحة التأثير الكبيرة للمكان، والإيحاء بكثافة حضور الآخر في النص؛ فالذات سافرت إلى فضاء الآخر، ورغبت في التواصل مع أنماط شخصياته المتنوعة، وحاولت الذات الشرقية إزالة موانع التواصل الفكرية والاجتماعية والثقافية بينها وبين الآخر الدنماركي؛ ومن ثمّ ظهر جمال فضاء الآخر في بداية اتصال الذات به؛ شريف قال: "... كوبنهاجن جميلة في الليل. ليها لا يقاوم...٢"، "جذبته الصواريخ التي تفجرت في سماء الميدان...كوبنهاجن تحتفل بنهاية أسبوع من العمل"^٣، " اختار شريف مقعداً يستطيع أن يرى منه ميدان كوبنهاجن الرئيسي بنظرة واحدة..."^٤.

لكن محاولات الذات في التواصل والانسجام مع الآخر باءت بالفشل؛ حيث عانت في فضاء الآخر الذل والهوان والشعور بالقسوة والمطاردة الدائمة؛ مما جعل فضاء الآخر مكروهاً ومرفوضاً، تشعر فيه الذات بالضيق والاضطراب، وترغب في الهروب منه؛ فصار فضاؤه في صورة ممقوتة منفرة، ومثال ذلك كثير ومتعدد، منها: "كوبنهاجن مدينة آثمة... كوبنهاجن مدينة بلا قلب...جوع كوبنهاجن يفترس العصافير...كوبنهاجن تبيع

١ - محمد جلال: حب في كوبنهاجن - ص ١٩٠.

٢ - المصدر السابق: ص ١٧٤.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٤٤.

٤ - المصدر السابق: ص ٢٠٧.

الأنتى. وأحياناً الرجل...امتلاً قلب المدينة بالجنون"١،

"البرد في كوبنهاجن يأكل الصدور...بلدة تأكل البشر...لا أطيق النوم هنا...ننام في غابة من الأجساد العارية..
نغادر هذه المدينة الملعونة. لا أطيق أن أبقى فيها لحظة واحدة. إنى أختنق. لا أستطيع أن أتنفس مدينة أكلت
شمسها...٢"، "كوبنهاجن تأكلنا قطعة قطعة...الحمام يتطاير...افترشنا الحدائق. طاردتنا كلاب
الشرطة...كلاب شرسة..٣".

وصارت الأماكن في منظور الذات منفرة مرفوضة؛ تُشعرها بالضيق والاضطراب؛ مثال ذلك بيت الشباب الذي
لجأ إليه شريف وكريمة بعد نفوذ أموالهم جاء في صورة فضاء مرفوض: "بدا كأنه معسكر لجيش
مهزوم...الجدران المتهالكة...اهتز البناء بصخب الراقصين...عريدت الموسيقى. زار الراقصون...شيء يثير
القرف...رائحة الأجساد في أنف كريمة...٤".

وهنا يمكن القول بأنه عندما وصلت الذات/شريف وكريمة إلي كوبنهاجن ؛ بدأت نداءات المكان تستصرخها
بالإغواء والإغراء المادي والجنسي بصورة بارزة: "توقف شريف. يحملق مشدوهاً. رجل يرفع لافتة. أنثى تجلس
تحت اللافتة... يقرأ : ناد للعري...تصلبت عيناه على حروف الإعلان الملون...لمح بطرف عينه صدر المرأة الذي تحرر
من قيده...أعاد قراءة الإعلان ظلت عيناه مثبتتين على الحروف دون أن يقرأ. غاب تفكيره...٥". وشريف -
أيضاً - تلعثت حركاته، وعمغم بكلمات غير مفهومة؛ حينما وجد: "المرأة قد وقفت. تبين أنها عارية أكثر مما
ينبغي...٦". وصاحبة البيت تغري شريف بأن تخلع ملابسها، وفي عينيها رغبة؛ فيتصبب العرق في جبهته٧. كما
أنه أبصر فتاة عارية على شاطئ البحر؛ تجذبه وتذهب به إلى بيتها، ويخوض معها تجربة جنسية، يثبت فيها
فحولته الشرقية٨. والرجل الشاذ يحاول إغواء شريف وإيقاعه في شرك الرذيلة مقابل السخاء المادي٩. وكريمة

١ - المصدر السابق: ص ٢٤٠، وما بعدها.

٢ - المصدر السابق: ص ٢١٧، وما بعدها.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٠٨.

٤ - المصدر السابق: ص ٢١٧، وما بعدها.

٥ - المصدر السابق: ص ١٧٩، ١٨٠.

٦ - المصدر السابق: ص ١٨٠.

٧ - المصدر السابق: ص ١٩٣.

٨ - المصدر السابق: ص ٢٧٤.

٩ - المصدر السابق: ص ٢١١، وما بعدها.

أثناء سيرها: "منصرفاً. تتفحص بعض الصور العارية باهتمام. الصور تتصدر محل الجنس...١". وحاول صاحب الملهي إغواء كريمة بكافة السبل ٢.

ومن ثم نجد الذات وقعت في إغواء المكان في بديهة اتصالها بالآخر؛ "فالمكان يقوم بالدور الأول في تحديد مواقف الشخصيات...إن سطوة المكان تتعدى في الواقع ما يبدو على السطح من تأثيراتها وفعاليتها المباشرة إلى أعماق التكوين النفسي للشخصيات...٣".

ويلاحظ أنّ الذات في صراعها مع الآخر لم تتخل عن التكوين المكاني والحضاري لصورتها الشرقية أثناء حركتها في فضاء الآخر؛ حيث تحمل ملامحها سمات موطنها الذي نشأت فيه فشريف فيه سمات الرجل الشرقي الأسمر الفتيّ: "فتى وجهه أسمر. حرقته شمس الصعيد...٤"، " كان يجري إلى الحقل يقبض على الفأس يفجر الأرض...٥".

وكريمة في: "عينها السمراوين...٦"، "... خصرها الثمين...٧"، "...بيترجرح ثدياها...٨"، "...صدرها متكور...٩". متكور...٩. وشاهد شريف: "صورة المرأة الأفريقية المحتشمة المتصدرة الحائط"١٠. كما أبصر: "وجوهاً سمراء. كأنه يعرفها. واقفة...١١". وترى كريمة أنّ "النساء في كوبنهاجن يعشقن الرجل الأسمر...١٢". وهذا ما يؤكد تمدد المكان في ملامح الذات الشرقية من حيث البناء الجسدي واللون والهيئة التي استقت مادتها من فضاء الشرق.

ويلاحظ أنّ هذا الفضاء العربي الشرقي له تأثير على الآخر الغربي الذي رغب في الاحتكاك بالذات والتفاعل معها؛ فأقبل على الذات؛ رغبة في اكتشاف عالمها، مما زاد الصراع قوة وتوهجاً، فالرجل الدنماركي يعجب بكريمة

١ - المصدر السابق: ص ١٨١.

٢ - المصدر السابق: ص ٢٥٨، وما بعدها.

٣ - حافظ، مالك الحزين: الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية - ١٩٨٤ - فصول - مجلد ٤ - عدد ٤ - ص ١٧٢.

٤ - محمد جلال : حب في كوبنهاجن: ص ١٧٩.

٥ - المصدر السابق: ص ١٤٥.

٦ - المصدر السابق: ص ١٩٨.

٧ - المصدر السابق: ص ١٦٥.

٨ - المصدر السابق: ص ٢٢٦.

٩ - المصدر السابق: ص ٢٣٨.

١٠ - المصدر السابق: ص ٢٤١.

١١ - المصدر السابق: ص ٢٠٩.

١٢ - المصدر السابق: ص ٢٥٩.

وجمالها الشرقي؛ يقول لها: "في عينيك السمرالوين العشق. عشق أميرة. تفضلي يا أميرتي المعظمة...".^١ ويعترف للذات بأثر المكان في تكوينها وبنائها؛ يقول لها -أيضاً - : " - أنت قوية. شمسك تقتل الضعف في داخل الإنسان. إني أعرفها...".^٢ ويرغب في الزواج منها، وبالشروط التي ترضيها^٣. والمرأة الدنماركية تعجب بشريف/الذات الشرقية، ترغبه وتشتهي عالمه، تغريه، توقعه في شباك إغراء جسمها الجنسي المتوهج؛ فيسقط في أحضانها، يشبعها، تتألق عيناها ببريق النشوة، معبرة - بصوت قوي - عن إعجابها به وبفحولته؛.

والذات في فضاء الآخر تؤكد انتماءها المكاني والحضاري للشرق، ولكل ما هو شرقي، مثال ذلك كريمة، وهي تقيم في فضاء الآخر، تعلن صراحة عن خصومة وعدم انسجام مع مكان الآخر/ كوبنهاجن، وتثبت انتماءً وحباً لفضاء الشرق وروحانياته التي تزيد النفس ثباتاً ورسوخاً: " قالت وهي تدبب بقدميها:

- أريد أن أعود إلى أبي الآن. لن أبقى لحظة واحدة في هذه المدينة. بيتنا في الحلمية بالدنيا...".^٥ "فكرت كريمة في في أن تقوم. وتخرج من المطعم وتحمل حقيبتها. وتركب الطائرة. وتعود إلى حي الحلمية. تريد أن تبكي على صدر أبيها الشيخ. الدموع في كوبنهاجن لا تريحها"^٦. وكريمة عندما تذكرت معاناتها وما تعرضت له من أهوال في فضاء الآخر، تستحضر فضاء الشرق تخفيفاً لآلامها: "امتألت عيناها بوجه أبيها الشيخ. أخرجت المصحف الصغير من صدرها. وقبلته... سيجئ شريف. ويصنع من نفسه قارباً. تركبه. ويعبران إلى حي الحلمية...".^٧، "اشتقت يا شريف لصوت أبي وهو يؤذن لصلاة الفجر. وسريري الخشبي الدافئ. وساعة العصاري العساري على النيل...".^٨.

وشريف عندما أحس بالضيق المادي والنفسي في فضاء الآخر، يصبح فضاء الشرق مبتغاه الذي يزيل عنه آلام وقسوة الآخر: "صوت قطار الصعيد يدوي في أذنيه. القيد الذهبي في إصبعه"^٩.

١ - المصدر السابق: ص ١٩٨

٢ - المصدر السابق: ص ١٩٩.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٧٩.

٤ - المصدر السابق: ص ٢٧٦، ٢٧٥.

٥ - المصدر السابق: ص ٢٢١.

٦ - المصدر السابق: ص ٢٥٧.

٧ - المصدر السابق: ص ٢٤١.

٨ - المصدر السابق: ص ٢٤٩.

٩ - المصدر السابق: ص ٢٣١.

والآخر يُظهر إعجابه الشديد بفضاء الذات؛ فيستدعي فضاءها الحضاري المعروف، ويؤكد معرفته ببلاد الشرق وتاريخها المجيد وحضارتها التليدة، هذه المعرفة تعود لاحتلاله الشرق زمناً غير قصير: "بلاد خوفو.. أعراف بلادكم.. أعشق لقاء خوفو في ضوء القمر... شمسكم...".^١ ولا يكتفي بهذا، بل يطلب من كريمة/الذات الشرقية الشرقية مشاركة في العمل معه؛ فترفض بشدة وصرامة، مصدرها قيمها الشرقية المتمسكة بها، وكى تعضد الذات ثباتها، فإنها تستحضر فضاء الشرق المفعم بالروحانيات الدينية متمثلاً في: "صوت أبيها الشيخ يردد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...٢"؛ عندئذ يتمدد فضاء الشرق داخل الذات، ويتحرك في أعماقها بكل معطياته العقائدية والاجتماعية؛ فتزداد الذات رسوخاً وثباتاً على قيمها الشرقية التي نشأت عليها.

وكذلك شريف/ الذات الشرقية عندما ذهب مع المرأة الدنماركية لبيتها، وجلس معها فترة، وأخبرته عن عمله في محل الجنس؛ عندئذ يستدعي فضاء الشرق في أنه: "سمع صوت أبيه شيخ الخضراء، وهو يختم صلاة العشاء في صحن الدوار... يخرج من جوفه"^٣.

وبذلك يتحقق انتصاراً لفضاء الذات/الشرق، الذي يحمل روحانيات إيمانية على فضاء الآخر الحافل بالحرية المطلقة والماديات الخالصة؛ ومن ثم ظلت الذات في ولائها لفضاء الشرق، الذي يجذبها بحب فطري وحنين الذكريات؛ وذلك بعد رحلتها في فضاء الآخر، والتي شهدت خصومات وتحطيم آمال متبادلة بينهما. ومما سبق يتأكد الدور البارز للفضاء في تقوية حدة الصراع وتصعيده داخل النص.

الخاتمة: هذه الدراسة تناولت منجزاً سردياً ذات رؤية انتقادية إشكالية، يتداخل فيها الواقعي مع التخيلي، لكشف الأبعاد الدلالية والفنية لعلاقة الأنا بالآخر بمرجعياتهما المختلفة والمتباينة: سياسياً، واجتماعياً، ودينيًا، وحضارياً. وقد كشفت القراءة الأولى عن مهارة سردية في إدارة صراع الذات العربية مع الآخر الغربي في ظل منظومة معيارية قيمية، تتبني بناء مشروع سردي هادف؛ مما ساعد على تقديم بناء فني مقنع للمتلقي الواعي بإشكالية وأصول الصراع داخل النص منذ بداية النص وصولاً لنهايتته والتي جاءت متناغمة ومنسجمة مع التسلسل المنطقي للوقائع والأحداث داخل السرد.

والصراع الحضاري داخل النص ارتبط في نوعيته ودرجته بجانب المصالحة ذات الطابع الفكري المتحد في ثنائيات ضدية متناقضة بين قطبين متباينين: الروحانية والمادية، الشرقية والغربية، الالتزام والانحلال؛ مما ترتب عليه صراعاً قوياً، يلمسه المتلقي بداية من قراءة العنوان الذي يشير إلى ثنائية جغرافية ضمنية، ألا وهي

١ - المصدر السابق: ص ١٩٩، ١٩٨.

٢ - المصدر السابق: ص ٢٠٠.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٦٥.

كوبنهاجن/الدنمارك في مواجهة مباشرة مع الشرق؛ وهذا ما يحيل بصورة مباشرة إلى وقوع صدام حتمي بين الجانبين، فالذات الشرقية: كريمة/شريف ينتقلان إلى فضاء الآخر؛ مما ترتب عليه مواجهات وصراعات ظاهرة وخفية، تشدد وتتلون وتختلف تبعاً لمسافات الاحتكاك والتفاعل بين الجانبين.

ولقد استطاع الكاتب تصوير الذات الشرقية بأشكالها وصورها المتعددة، بصورة مقنعة ومؤثرة، مستعيناً في ذلك بالعديد من العناصر الفنية التي تساعد على تحديد الشخصية: خارجياً، وداخلياً، وتشكيلها في صورة حية، من خلال العناصر التالية: الجسدية، والنفسية، والاجتماعية.

والصورة الجسدية للذات اتضحت باستخدام الكاتب العديد من الوسائل الفنية، وفي مقدمتها الحرص - عن قصد فني - على اختيار أسماء لشخصياته، ذات دلالات محددة مقصودة، تحيل إلى الماضي الشرقي المشكّل لوعي ووجود الذات؛ باختيار أسماء عربية وإسلامية مستمدة من البيئة العربية الأصيلة، بحيث تحمل عقب التاريخ؛ وذلك لتأكيد الهوية العربية الإسلامية في الصراع الحضاري مع الآخر. واهتم الكاتب بمنح الذات الشرقية صفات عربية لصيقة بها؛ ذلك أن الشخصية العربية المتأصلة في الكاتب فرضت عليه تمثّلها جسدياً، انطلاقاً من رسم الملامح والسمات العربية الشرقية من حيث: اللون، والعيون، والشعر، والشارب، والقوام، والوجه، وغيرها، باعتبارها علامات انتماء للجنس الشرقي. والصورة النفسية للذات تكشف من خلال رصد المشاعر والأفكار الدفينة في الأعماق، وكشف الدوافع الكامنة وراء السلوك، وإظهار التفاعلات والصراعات الداخلية، وتحليل الخبايا. فرسم الكاتب صورة للذات الشرقية التي تعيش حالات من القلق داخل وطنها، وفي عمق مجتمعها، مصدره حالة السخط والاستياء من الواقع المتدهور، والفقر المدقع لغالبية الأفراد، والعيادات المنبوذة، والسلوكيات المرفوضة، مع عجز على مواجهة تلك السلبيات ومعالجتها. وظلت مشاعر القلق والتوتر والإحساس بالغرابة تلاحق الذات خارج وطنها، في فضاء الآخر وفي تواصله معه؛ فعاشت غربة واغترباً في كل مكان.

ورسم الكاتب صورة اجتماعية للذات من خلال تجسيد الواقع الاجتماعي لها؛ والتعبير عن الأوضاع الاجتماعية السائدة داخل المجتمع، حيث: الفقر، والجهل، والمرض، والتخلف، وكذلك تجسيد العادات الاجتماعية السائدة، والتي ألفها المجتمع كمارسات، تحيل إلى الثقافة الاجتماعية الشعبية التي تميز المجتمعات الشرقية العربية، والتي تشكل عنواناً تراثياً ذا مرجعية ثقافية في المجتمع الشرقي؛ مما يؤكد أن الصورة الاجتماعية للذات تعلن بقوة عن الانتماء لكل ما هو شرقي.

أما الآخر فقد ظهر في النص السرد في صورة الضد والنقيض لأننا بما يحمله من صفات وخصائص وقيم متنوعة ومتباينة؛ ومن ثم لا ينتمي لنظامها. ذلك الآخر الذي تتضح صورته في تمثيلات ثلاثة: الجسدية، والنفسية، والاجتماعية.

وفي بناء الصورة الجسدية للآخر يحرص الكاتب على الإتيان بنماذج غريبة دون تحديد اسم علم، يميزها، ويحددها، ويكشف خصائصها؛ وذلك لغاية فنية، تهدف لتأكيد التباعد الفكري والحضاري والأيدولوجي، وعدم الاندماج بين الذات والآخر. والوصف الفسيولوجي للآخر جاء من منظور ورؤية الذات، التي منحته سمات خاصة به، وملاصقة لجنسه، تميزه وتحدده عن بقية الأجناس الأخرى. وركزت الذات في تجسيدها للصورة الجسدية على تشكيلها من الملامح التي تبدو فيها شيئاً من الجمالية مع بعض من مظاهر الأنوثة والإغراء؛ وهذا مرجعه الانبهار السطحي والساذج للذات بالآخر وحضارته ورقبه المادي. كذلك ظهرت عناية كبيرة من الكاتب في رسمه صورة الآخر بتوضيح الملامح النفسية له؛ فقد قدم الكاتب العديد من الإشارات النفسية لتأطير شخصيته من الداخل، وتمظهرت في سيطرة الحياة المادية على عالمه، ومحاولاته العديدة لإشباعها في صور عديدة متنوعة. ولاكتمال صورة الآخر يعتني الكاتب بإضاعة نماذجه اجتماعياً، بوصف بينته وأعماله التي يمارسها، ومستوى المعيشة، وكشف الأنماط الاجتماعية لسلوكياته وقيمه التي يمارسها داخل بيئته، والتي تعد ثقافة اجتماعية تميزه عن بقية الأجناس.

ولقد اعتنى الكاتب في رواية (حب في كوبنهاجن) بإبراز الصراع الروائي بمرجعياته الفكرية وآلياته الفنية بين الذات الشرقية والآخر الغربي، وإذكاء توجهه من خلال ارتكاز النص السردى على مساحة التباعد والتباين بين القطبين المتصارعين في: الأيدولوجيات، والنشأة، والموقع، والعادات، والفكر، والثقافة، والتطلعات؛ مما ينتج عنه مواجهة، تؤدي إلى حركة مستمرة، وتفاعل إيجابي نشط، يقوم على مواجهة ضارية بين القوتين؛ تزداد بزيادة المسافات البينية والثنائيات الضدية المتباعدة بين قطبي الصراع، مثل: الروحانية والمادية، والتخلف والتطور، الثبات والتحول. ولقد جاء الصراع في الرواية قوياً؛ حيث تمكنت الذات من خوض مواجهة وصدام مع الآخر، واستطاعت في نهاية هذه التجربة من تحديد هويتها، والإعلان عنها بوضوح، والعودة الإيجابية للوطن، إنقاذاً للنفس من الاستلاب والاعتراب والضياع، بعد اكتساب الخبرة والدرية.

وفي الرواية تشكلت المواجهة الحضارية بين الذات والآخر الغربي في عدة صور ومراحل مختلفة، وتشمل: مرحلة التطلع والانبهار، مرحلة التودد والتقرب، مرحلة المواجهة والصدام، مرحلة رفض الآخر والعودة للوطن. وصراع الذات لا تقتصر على مواجهة الآخر الغربي فقط؛ وإنما ظهرت في النص مواجهة ضارية بين الذات والآخر الشرقي، الذي هو جزء منها ومن مجتمعه الذي تنتمي إليه، ولكن بينهما اختلافات عديدة في الفكر

والثقافة والوعي؛ مما جعلهما في صدام ومواجهة. وتمظهرت مراحل صراع الذات مع الآخر الشرقي في: مرحلة قلق وتوجس، مرحلة تمرد الذات على الآخر الشرقي، مرحلة خضوع واستسلام الآخر الشرقي للذات. وقد كشف النص عن حضور قوي للذات والآخر في صورة فعّالة، يجسدها الفضاءان المتقاطبان: الشرق وما يستدعيه من معاني: الذات، والبعد الروحي، والواقع المتدهور، والجهل، والفقير، والتخلف. والغرب الأوربي وما يستحضره من معاني: الآخر، والبعد المادي، والتطور، والتكنولوجيا؛ مما أثرى حركة الصراع السردي، والتي كشفت عنها حركة الذات/شريف وكريمة، من فضاءها الشرقي إلى فضاء الآخر الأوربي، ثم العودة إلى الشرق مرة أخرى. هذه الحركة الثلاثية تكشف انتماء الذات لوطنها والتمسك به وبقيمه الأصيلة، وبكل ما هو شرقي عربي.

وقد اتضحت كثافة حضور المكان في الرواية بدءاً من العنوان، الذي شكل مفتاحاً استراتيجياً لقراءة النص؛ حيث يحمل العنوان دلالة لفضاءين متباعدين ومتناقضين، وهما: كوبنهاجن/الدنمارك في مواجهة مباشرة مع الشرق؛ حيث لكل فضاء رصيده الحضاري وقيمه الموروثة من معطيات المكان. وقد ظهر جمال فضاء الآخر في بداية اتصال الذات به، حيث ترغب الذات في التواصل مع شخصياته المتنوعة، وإزالة موانع التواصل الفكرية والاجتماعية والثقافية بينها وبين الآخر الدنماركي. لكن بمرور الوقت وزيادة الاحتكاك باءت محاولات الذات في التواصل والانسجام مع الآخر بالفشل؛ حيث عانت في فضاء الآخر النذل والشعور بالقسوة والمطاردة؛ فصار فضاء الآخر ضيقاً مكروهاً، تشعر فيه الذات بالضيق والاضطراب، وترغب في الهروب منه.

وانسجاماً مع ما سبق فإنه يمكن القول بأنّ الذات ظلت في رحلتها الطويلة في فضاء الآخر متمسكة ببيئتها الشرقية، ولم تتخل عن التكوين المكاني والحضاري لصورتها الشرقية؛ فاحتفظت بكل سماتها الشرقية؛ مما يحقق تمدداً وفاعلية لفضاء الشرق على فضاء الآخر.

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر:

- محمد جلال: حب في كوبنهاجن - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الأعمال الكاملة - الجزء

الرابع - ٢٠٠٣.

ثانياً - المراجع:

- إبراهيم عباس الرواية المغاربية، تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي - دار التراث

للكتاب - الجزائر - ط ١ - ٢٠٠٥.

- أحمد السماوي : فن السرد في قصص طه حسين - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - صفاقس - تونس - ط ١ - ٢٠٠٢ - بيروت - ط ٤ - ١٩٩٧.
- جيهان عبد الخالق مصطفى: توظيف المكان في الرواية المصرية المعاصرة - رسالة ماجستير - مخطوطة - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٩٣.
- حافظ، مالك الحزين: الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية - فصول - مجلد ٤ - عدد ٤ - ١٩٨٤.
- حسن نور الدين : الأسماء العربية، معانيها ومدلولاتها - دار الكاتب الحديث - ٢٠٠٤.
- حسين القباني: نظرات في القصة القصيرة - دار المعارف - سلسلة كتابك - عدد ١٢٥ - د.ت .
- رمضان بسطاويسي: الإبداع... والحرية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - فبراير - ٢٠٠٢.
- روجرب. هينكل: قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير - ترجمة صلاح رزق - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ١٩٩٩.
- رينيه ويليك، أوستن وارين: نظرية الأدب - ترجمة محي الدين صبحي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨١.
- سمر روجي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرؤيا - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ٢٠٠٣.
- سلاف بوحلايس: صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري - ماجستير - جامعة باتنة - الجزائر - ٢٠٠٨.
- سمية الشوابكة: التراث والبناء الفني في أعمال محمد جبريل الروائية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ط ١ - أغسطس - ٢٠٠٥.
- شاكر عبد الحميد: \الحلم والرمز والأسطورة- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨.
- شريف بموسى عبد القادر: أشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية، مقارنة نفسية - أطروحة دكتوراه - جامعة تلمسان - الجزائر - ٢٠٠٤.
- شكري عياد: الرؤيا المقيدة، دراسات في التفسير الحضاري للأدب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٨.
- صلاح صالح: سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء المغرب - ط ١ - ٢٠٠٣.
- طه وادي:
- دراسات في نقد الرواية - دار المعارف - ط ٢ - ١٩٩٣.

- القصة ديوان العرب، قضايا ونماذج - الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة - ٢٠٠١.
- عبد الله أوغرب: الذات والآخر الغربي في روايتي: "الغربة" و "اليتيم" لعبد الله العروي - ماجستير - الجزائر - كلية الآداب واللغات - جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان-٢٠١١.
- عبد الرزاق الدواي: في خطاب عن المثاقفة والهوية الثقافية - مجلة أيس - الجزائر - العدد الثاني - ٢٠٠٧.
- عصام بهي: الرحلة إلى الغرب في الرواية العربية الحديثة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٠.
- غالي شكري: أدب المقاومة - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٠.
- قحطان أحمد الظاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق - دار وائل للنشر والتوزيع - الأردن - ط١ - ٢٠٠٤.
- لاجوس إجري: فن كتابة المسرحية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٠.
- محمد جبريل: مصر المكان، دراسة في القصة والرواية - المجلس الأعلى للثقافة-٢٠٠٠.
- محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر - دار الطليعة - لبنان - ط٢ - ١٩٨٥.
- محمد كمال سرحان:
- بناء القصة القصيرة عند يوسف السباعي - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة المنصورة - ٢٠٠٥.
- الشخصية في الرواية الواقعية، دراسة في أعمال عبد الرحمن الشرقاوي و يوسف إدريس - رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة المنصورة - ٢٠٠٩.
- بنية المكان في رواية "صخب البحيرة" لمحمد البساطي - مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دمياط الجديدة- جامعة الأزهر- العدد الثاني - نوفمبر - ٢٠١٤.
- محمد نجيب التلاوي: الذات والمهمان، دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - سلسلة دراسات أدبية - ١٩٩٨.
- محمد يوسف نجم: فن القصة - دار الثقافة - بيروت - لبنان - د.ت.
- مرشد أحمد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله - المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت - ط١ - ٢٠٠٥.

- ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي - المركز الثقافي الغربي - بيروت - لبنان - طه - ٢٠٠٥.
- نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر، دراسات أدبية مقارنة - عالم الكتب الحديث - الأردن - ط١ - ٢٠٠٧.
- نجيب الحصادي: جدلية الأنا والآخر - الدار الدولية للنشر والتوزيع - القاهرة - ط١ - ١٩٩٦.
- هالي بيرنت: كتابة القصة القصيرة - ترجمة أحمد عمر شاهين - كتاب الهلال - عدد ٥٤٧ - يوليو - ١٩٩٦.
- وليد محمد غبور: الأشكال القصصية في النثر العربي في القرنين الخامس والسادس للهجرة - رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ٢٠٠٥.
- ووشيو تشينغ: إبراهيم عبدالمجيد روائياً - المجلس الأعلى للثقافة - ٢٠٠٢.